وسائل التصفية في مصر في العصر الفاطمي الأول

(٣٥٨–٤٨٧هـ/٩٦٨–١٠٩٤م)

دكتور

ثناء عبد العظيم عبد العزيز

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية الدراسات الإنسانية بالدقهلية

جامعة الأزهر

ملخص البحث

يتناول هذا البحث و سائل التصفية التي شهدها العصر الفاطمي الاول، و عكس ما قد يتبادر الى الاذهان من عنوان البحث من قصور كلمة التصفية على التصفية الجسدية ، فالتصفية التي عنيتها في هذا البحث تشمل التصفية الجسدية و التصفية السالبة للحرية بتحديد الاقامة او السجن و تشمل ايضا الابعاد المتمثل في النفي، والحقيقة ان عرض وسائل التصفية في العصر الفاطمي الاول تلقى بظلالها على مدى حققه خلفاء ذلك العصر من نجاح و استقرار او اخفاق او اضطراب خاصة اننا سنلمس من خلال العرض ان اوضاع الدولة و مدى مقدرة الخلفاء تتناسب عكسيا مع حالات التصفية –قلة و كثرة– فضلا عن ارتباط حالات التصفية بطبيعة الحكم خاصة الحكم الاستبدادي و الضعيف.

و في النهاية نخلص الى ان وسائل التصفية في الفترة قيد الدراسة تكشف السمات اللازمة لكل فترة حكم و ما احاط بها من ظروف فضلا عن ما يبينه من سمات شخصية لكل حاكم و كذا بيان الجهات التي كان لها صلاحية اصدار عقوبة التصفية و التي انحصرت في الخلفاء و بعض سيدات البيت الفاطمي و كذا بعض الوزراء.

دكتور
ثناء عبد العظيم عبد العزيز
استاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية الدراسات الانسانية- بتفهنا الاشراف
جامعة الازهر

Summary

This research deals with the different means of liquidation operations that took place during the Fatimid period. As apparent from the title itself, readers may think that the word liquidation is confined to physical liquidation. Nevertheless, the word liquidation in this research is not confined to physical liquidation only, but it rather includes other forms of liquidation such house arrest, imprisonment, and exile.

In fact, this survey about the means of liquidation in the first Fatimid era raises questions about how far the Caliphs of that era managed to attain success and stability, or rather how they were a failure and reached a state of disorder and turmoil. Through this survey, we get to know that the conditions of the state and the extent of the caliphs' power is inversely proportional to the cases of liquidation – whether few or many – and that there is a connection between the cases of liquidation and the nature of the rule, especially if it is authoritarian and weak.

Finally, we conclude that the means of liquidation in the period under study reveal the necessary characteristics of each era and the circumstances surrounding it, as well as, the personal characteristics of each ruler, and the entities that had the power to carry out such liquidation operations, a matter that was limited to the caliphs and some of the ladies of Fatimid household and some ministers.

يتناول هذا البحث وسائل التصفية التي شهدها العصر الفاطمى الأول (٣٥٨ – ٤٨٧هـ / ٩٦٨ – ١٠٩٤م) وعكس ما قد يتبادر إلى الأذهان من عنوان هذا البحث من قصور كلمة التصفية على التصفية الجسدية، وبمعنى أدق القضاء على الخصوم بواسطة القتل أو الاغتيال، مع الوضع في الاعتبار تعدد طرق التصفية الجسدية في العصر الفاطمى الأول، والتي اتسم بعضها بالشذوذ والقسوة.

فالتصفية التي عنيتها في هذا البحث تشمل التصفية الجسدية، والتصفية السالبة للحرية بتحديد الإقامة أو السجن، وتشمل أيضا الإبعاد المتمثل في النفى.

والحقيقة أن عرض وسائل التصفية في العصر الفاطمى الأول تلقى بظلالها على مدى ما حققه خلفاء ذلك العصر من نجاح واستقرار، أو إخفاق وإضطراب، خاصة أننا سنلمس من خلال العرض أن أوضاع الدولة ومدى مقدرة الخلفاء تتناسب عكسيا مع حالات التصفية – قلة وكثرة – فضلا عن ارتباط حالات التصفية بالحكم الاستبدادى والحكم الضعيف بشكل كبير.

وأتطلع من خلال هذا البحث إلى الوقوف على الجهات التي كان لها صلاحية إصدار قرار عقوبة التصفية، ولما كان من المتوقع أن تتعدد وسائل التصفية، تبعا للظروف والأحوال، وطول فترة العصر الفاطمى الأول، فقد رأيت أن أتناول موضوع التصفية مرتبا على فترات حكم خلفاء العصر الأول.

وسائل التصفية على عهد المعز لدين الله[1] (٣٦٢ – ٣٦٥هـ / ٩٧٢ – ٩٧٥م):

بعد استقرار الأمور بمصر للقائد جوهر الصقلى[2] وبينما يتخذ من التدابير

---

(١) أبو تميم معد المعز لدين الله، كان مولده بالمهدية في رمضان سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م، تقلد الخلافة الفاطمية بالمغرب بعد أبيه في شوال سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م، وهو من نقل الخلافة الفاطمية إلى مصر، ومدة خلافته بها ثلاث سنين، توفى في ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م، وعمره يوم وفاته خمس وأربعون سنة، ابن القلانسى: حمزة بن أسد بن على بن محمد أبو يعلى التميمى الدمشقى (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبى، بغداد، د.ت، ص ١٤، ابن ظافر الأزدى: جمال الدين على بن ظافر (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م)، أخبار الدول المنقطعة، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين، تقديم أندرية فريه، مطبوعات المعهد العلمى الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٧٢م، ص ٢١، ٢٦، ٢٧، ابن حماد: أبى عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م)، أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامى نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، د.ت، ص ٩١، ص ٩٢، ابن الراهب: أبى شاكر بطرس بن أبى الكرم بن المهذب (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، تاريخ ابن الراهب، عنى بنشره الأب لويس شيخو اليسوعى، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٣م، ص ٧٩، المقريزى: تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، حـ١، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. الثانية، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٢٣١.

(٢) جوهر بن عبد الله القائد أبو الحسن الصقلبى الرومى مولى المعز لدين الله، ولد سنة ٣١٢هـ، كان في ملك خادم يقال له صابر، ثم انتقل إلى خادم يقال له خيران، ثم إلى خادم يقال له خفيف، فأهداه إلى المنصور بالله الذى حمله إلى ابنه المعز، وترقى في خدمته حتى تولى الوزارة سنة ٣٤٥هـ، وسيره إلى مصر فدخلها وأمن أهلها، وأحرز الانتصارات للمعز، ومن بعده للعزيز، إلى أن مات بمصر سنة ٣٨١هـ، المقريزى: المقفى الكبير، تراجم مغربية ومشرقية، تحقيق محمد اليعلاوى، ط الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣٢٧ إلى ص ٣٥٢.

ما يثبت أركان الحكم الفاطمى في مصر إذ ثار تبر الإخشيدى[١] في الوجه البحرى، ودعا للخليفة العباسى، فأراد جوهر أن يتدارك الأمر بالوسائل السلمية، إلا أن تبر الإخشيدى لم يستجب له، فلم يجد جوهر بدا من حربه، فأرسل إليه جنودا عن طريق البر والبحر، وكان تبر قد داهم قرية صهرجت[٢] ونهبها، وفى محاولة للضغط عليه للتراجع أمر جوهر بنهب دوره بمصر، وقبض على بعض أقاربه فأقبل تبر على نهب الضياع[٣].

وصلت عساكر جوهر إلى صهرجت لملاقاة تبر فتقهقر إلى تنيس[٤] وانطلق عن طريق البحر بريد الشام، ثم اللجوء إلى بلاد الروم، وما كان القائد

---

(١) أحد الأمراء الأكابر أيام كافور الإخشيدى، تبر الإخشيدى: نافق في شعبان سنة ٣٥٩هـ، وخرج بالوجه البحرى، راسله جوهر فلم يجبه، وأرسل إليه عسكر حاربه ناحية صهرجت، وولى منهزما إلى الشام فأخذ بمدينة صور، وحمل إلى القاهرة على فيل وشُهِّر وسجن إلى سنة ٣٦٠هـ، ثم قبض على جماعة من أتباعه، وسجنوا ثم جرح نفسه، فأقام أياما ومات، فسُلخ بعد موته وصُلب إلى جانب من صُلِب من أصحابه، المقريزى: المقفى الكبير، حـ٨، ص ٢١٧.

(٢) قرية من أعمال ميت غمر شمال القاهرة معروفة بزراعة السكر. محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، ق٢، حـ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص ٢٥٧.

(٣) النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، حـ ٢٨، تحقيق محمد محمد أمين، محمد حلمى محمد أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٣٤.

(٤) تنيس، من القرى المصرية القديمة التي اندثرت ما بين الفرما ودمياط، ولما دخلها المسلمون كانوا يسمونها بذات الأخصاص، لكثرة الأخصاص بها، ثم عمرها ابن طولون، وهى لا تزال موجودة إلى الآن ببحيرة المنزلة، إلى الجنوب الغربى لمدينة بور سعيد، محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق ١، ص ١٩٧، ص ١٩٨.

جوهر ليدعه على هذه الحال، فأنفذ خلفه أسطولا، ولما وصل إلى صور[١] وتمكن جنود جوهر من إلقاء القبض عليه، وعلى جميع من كان معه، وحُمل إلى مصر، وذلك في سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م[٢].

وعندما وصل تبر إلى مصر أدخل إليها على فيل، وبين يديه رجل ومن خلفه رجل، وحُمل كل واحد ممن قبض عليه على جمل منكسين رؤوسهم، وصدر قرار باعتقالهم، ولما تشدد عليه في المطالبة جرح نفسه ومات متأثرا بجراحه بعد أيام، فأصدر جوهر قرار بسلخ جلده وأن يُخشى تبنا ثم صلب وجلد وضربت أشلائه[٣].

والحقيقة أن ما أقدم عليه جوهر من الإصرار على القبض على تبر الإخشدى، وتتبعه أمر لا يلام عليه، وكذا أمر اعتقاله واستصفاء أمواله، لكن ينكر عليه التمثيل به بعد موته، دون مراعاة لحرمة الميت، ولا لتحريم التمثيل بالموتى، وهذه التصفيات مما لم تجر به العادة في مصر في تلك الآونة.

وكثيرا ما سيجرى على الألسنة أن لديه من الأعذار ما لديه من إقرار

---

(١) صور من مدن الشام القديمة، سكنها خلق كثير من الزهاد والعلماء، كانت من ثغور المسلمين وهى مشرفة على البحر المتوسط، يحيط بها البحر من جميع جوانبها، ماعدا الرابع الذى منه بابها، فتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب، ونزل عليها الفرنج سنة ٥١٨هـ، وسلمها أهلها للفرنج بعد طول حصار، ياقوت الحموى: شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، م٣، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٤٣٣.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٣٤، المقريزى: المقفى الكبير، حـ ٨، ص ٢١٧.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٣٤، المقريزى: المقفى الكبير، تراجم مغربية ومشرقية، ص ٢١٧.

أمور مصر، والقضاء على الاضطرابات فيها، وتثبيت أقدام الحكم الفاطمى، والرغبة في الخلاص من كل مناوئ، أما وقد حقق مراده بالقبض عليه واعتقاله أو إعدامه، أما كان هذا كافيا، وما بعد ذلك يحال على التنكيل المفرط.

كان جوهر قد نادى في مصر باجتماع من بقى من الإخشيدية والكافورية، فاجتمع له نحو ألف غلام فقبض عليهم وقيدهم وحبسهم في حبس كان قد أعده لهم(١)، ثم ضرب أعناق مجموعة منهم وصلبهم فأقاموا إلى أن دخل المعز القاهرة(٢).

ومن جملة الإخشيدية أيضا الحسن بن طغج الإخشيد(٣) الذى حارب الفاطميين بالشام، فظفروا به وأسروه، وأرسلوه إلى أفريقية حيث نفى هناك(٤).

ويبدو أن كثرة خروج المنسوبين إلى الإخشيدية والكافورية أثار حالة من التوجس لدى القائد جوهر، مما جعله يصدر قرارات بجمعهم وحبسهم،

---

(١) الأنطاكى: يحيى بن سعيد الأنطاكى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٧م)، تاريخ الأنطاكى المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق عمر عبد السلام، لبنان، ١٩٩٠م، ص ١٤٧، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٣٨.

(٢) المقريزى: المقفى الكبير، حـ ٨، ص ٣٤٧.

(٣) هو أبو محمد بن الأمير أبى الحسن عبيد الله بن الأمير أبى محمد الفرغانى، وهو غير الحسن بن طغج أخى الأمير محمد بن طغج، له معارك مع الفاطميين بالشام، وتمكنوا من أسره ونفيه إلى أفريقية، المقريزى: المقفى الكبير، حـ ٨، ص ٣٠٠: ص ٣٠٢.

(٤) المقريزى: المقفى الكبير، تراجم مغربية ومشرقية، ص ٣٠٠: ص ٣٠٢.

وتصفيتهم جسديا ومعنويا بإزالة آثارهم من مسرح الحياة السياسية بمصر.

وفور وصول المعز لدين الله إلى مصر، وتفقده ملكه الجديد، يأمر بإلقاء القبض على جماعة من المفسدين، ممن عاثوا في البلاد فسادا، واتخذوا من القرافة مرتعا لهم، فتم إلقاء القبض عليهم وضرب أعناقهم(١)، وهكذا يستهل المعز حكمه في مصر بالشدة وعدم التراخى لتستقيم له الأحوال، ويقطع الطريق على كل من تسول له نفسه نقض هذا البنيان.

ثم بلغ المعز لدين الله أن محمد الرسى(٢) أخا أبى إسماعيل الرسى(٣) قد أجمع أمره على الفرار إلى الشام، فأصدر أوامره بالقبض عليه، وتم سجنه مقيدا(٤)، وفرار محمد الرسى ينبئ عن خوفه من الفاطميين، أو عدم رضاه عنهم، لاسيما وهم جميعا من أبناء بيت النبوة، وشرف بعضهم لبعض الشرف، فلربما حركه الحقد، فكان أن تمت تصفيته بالحبس.

ومن التصفيات التي وقعت في عهد المعز ما كان في سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م من جمع أبناء الإخشيدية، وغيرهم من أبناء الجند واعتقالهم(٥)، ويبدو أن المعز أراد أن يقلل من عدد أولئك الذين يتوجب عليهم مجابهتهم، أو على

---

(١) المقريزى: اعتاظ الحنفا، حـ١، ص ١٣٩.

(٢) من نسل أبى القاسم الرسى بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب والذين انتهت إليهم نقابة الطالبيين في مصر، أيام المعز العزيز. المقريزى: المقفى، تراجم مغربية ومشرقية، ص ٣٢٦، ص ٢٨٤.

(٣) المقريزى: المقفى، تراجم مغربية ومشرقية، ص ١٣٩.

(٤) المقريزى: إتعاظ الحنفا، حـ١، ص ١٣٩.

(٥) المقريزى: إتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢٠٢.

أقل تقدير يضمن عدم انضمامهم لأعداء الفاطميين.

ومن جملة هؤلاء عبد الله بن عبيد الله الشريف الحسينى[١] الذى انضم إلى الحسن بن أحمد القرمطى[٢]، ونتج عن ذلك توغل عبد الله الحسينى في الصعيد، وإسرافه في القتل خاصة قتل المغاربة، وأسر أعداد كثيرة منهم، فكانت التصفية الجسدية لهؤلاء وأسر بعضهم من أهم نتائج الحروب التي خاضتها الدولة الفاطمية ضد القرامطة، خاصة وأن الشريف عبيد الله الحسينى كان قد انضم إليهم بعد ذهاب أمله في أي ولاية، خاصة بعد قدوم الفاطميين إلى مصر.

كان الشريف عبد الله بن عبيد الله الحسينى أحد المحرضين للقرامطة على

---

(١) عبد الله بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسن به على بن أبى طالب، أخو أبو جعفر مسلم الحسينى، كان قد استعمله كافور على الشام، وتطور الأمر إلى الدعوة لنفسه، وتلقب بالمهدى، ولما دخل الفاطميون مصر اتخد مع القرامطة، فشكاه المعز لأبى جعفر فتبرأ منه، وانتدبه القرمطى إلى الصعيد، فقتل واستصفى الأموال، وقبض عليه المعز وقيده، ثم فر إلى القرامطة، واستنهضهم لقتال المعز، وكانت نهايته على أيديهم. المقريزى: المقفى الكبير، تراجم مشرقية ومغربية، ص ٢٤٢، ص ٢٤٣.

(٢) الحسن بن أحمد بن الحسن بن بهرام أبو على بن أبى منصور بن أبى سعيد الجنابى ويعرف بالأعصم القرمطى، ولد بالأحساء سنة ٢٧٨هـ، كان القرامطة من أشهر دعاة الفاطميين ثم خرجوا عليهم، ودعوا لأنفسهم، فغلب القرمطى على الشام سنة ٣٥٧هـ، دارت حروب بينه وبين الفاطميين، ومات بالرملة سنة ٣٦٦هـ، المقريزى: المقفى، تراجم مشرقية ومغربية، ص ٢٥٧ وما بعدها.

الفاطميين، وانضم إليهم في الحرب ضدهم في الشام، ولما دارت الدائرة عليهم كان المعز قد شكاه لأخيه أبو جعفر مسلم الحسينى، فتبرأ منه، فما كان من المعز إلا أن أمر القبض عليه وسجنه مقيدا(١)، ففر من محبسه بعد ذلك إلى القرامطة يستحثهم على حرب الفاطميين، إلى أن كانت نهايته على أيديهم(٢)، فتمت تصفيته بالحبس من قبل المعز، ثم تمت تصفيته بالهروب خارج مصر، وزال كل أثر له منها، وربما نجد المعز يحفظ فيه القرابة وصلات الأرحام، ولم يقدم على تصفيته بالطرق التي اتبعوها آنذاك.

وفى نفس العام ٣٦٣هـ / ٩٧٣م أصدر المعز أوامره بالقبض على جماعة السعاة الذين نال الناس منهم أذى كثيرا(٣)، ويبدو أن هؤلاء السعاة قد استغلوا قربهم من أصحاب الحل والعقد في الدولة، واستجابوا لهوى أنفسهم في إيذاء الرعية، وعندما وقف المعز على ذلك أبعد هؤلاء السعاة، وسلبهم حريتهم بحبسهم.

كما صدرت الأوامر بقتل الأسارى الذين في الاعتقال، فقتلوا عن آخرهم، وحفرت لهم الأخاديد(٤)، ودفنوا، فلما بلغ ذلك المعز قال: " ما أمرت بقتلهم، ولقد أمرت بإطلاقهم، ويدفع لكل واحد منهم ثلاثة دنانير " ويقال أنه اغتم بسبب ذلك وتصدق وأعتق(٥).

---

(١) المقريزى: إتعاظ الحنفا، حـ١، ص ١٣٩.

(٢) المقريزى: المقفى، تراجم مغربية ومشرقية، ص ٢٤٣.

(٣) المقريزى: إتعاظ الحنفا، حـ١، ص٢٠٨.

(٤) الأخاديد: جمع أخدود وهو الشق المستطيل في الأرض، المعجم الوجيز، مطابع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٩٥ / ١٩٩٦م، ص ١٨٦.

(٥)المقريزى: إتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢٠٩.

وما سبق يوضح أن توقيع عقوبة التصفية بالقتل قد تتجاوز ولى الأمر إلى غيره من أعيان الدولة وقادتها ووزرائها، كما يدل على عدول هؤلاء عن عقوبة التصفية بسلب الحرية عن طريق الاغتيال في حق هؤلاء الأسرى إلى التصفية الجسدية، وربما كان مرد ذلك الرغبة في التنكيل ممن تسببوا في إلحاق بعض الهزائم بهم، ليزيلوا عن أنفسهم معرة الهزيمة على أيديهم.

وربما كان في ذلك التصرف ما يحمل رسالة مؤداها التهديد لأعداء الدولة الفاطمية المتربصين بها، وأنهم لن يخفضوا جانبهم لأي من هؤلاء الأعداء، وأن عقوباتهم لم تقتصر على الاعتقال وسلب الحرية، وعلى الجانب الآخر نرى المعز يهدئ من روع المصريين بإدعاء عدم علمه بالأمر بقتل هؤلاء، حتى لا يثير مخاوفهم من العهد الجديد، إلا أن ذلك لا يتمشى مع العقل والمنطق، وأن ذلك الخليفة القوى الذى أحكم قبضته على دولته لا يعلم بأمر على هذه الدرجة من الأهمية.

وردت أنباء من الصعيد تفيد بقتل بعض الأشراف، ويبدو أن ما أوجب قتلهم أنهم كانوا من أصحاب عبد الله الحسينى المتمرد على الفاطميين[1]، حتى لا يتفاقم الأمر وينحو نحوهم أي خارج، أو أن بعض هؤلاء اقتدى بعبد الله الحسينى في مظاهرة أي عدو للفاطميين، وهو ما يمثل تهديدا خطيرا يستوجب سرعة التحرك تجاه هؤلاء، فكانت تصفيتهم بالقتل.

(١) المقريزى: إتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢٠٩.

كان المعز لدين الله قد علم أن شيخا يقال ابن النابلسى[١]، ينال كثيرا من الفاطميين، ويفتى بقتال جندهم من المغاربة، فأمر بالقبض عليه، واتفق ذلك مع القبض على ابن منجا القرمطى[٢]، وتم إرسالهم إلى مصر، وقد جعل كل واحد منهم في قفص من خشب، وعندما وصلوا إلى مصر طيف بهم على الإبل مكبلين بالقيود، وابن النابلسى على حمله والناس يسبونه ويشتمونه ويجرون برجله من فوق الجمل[٣].

لما أدخل ابن النابلسى إلى المعز قال له: " أنت القائل لو كان معى عشرة أسهم لرميت بتسعة في المصريين وواحد في الروم ؟ قال: نعم، وقال: لِمَ ؟

---

(١) أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل بن نصر الرملى المعروف بابن النابلسى، رجل عالم فاضل من الرملة، كان يبغض المغاربة، ويرى وجوب قتالهم، لما ملك الفاطميين مصر، فر من الرملة إلى دمشق خوفا منهم، أمر المعز بسلخه وحشى تبنا، وذلك في سنة ٣٦٣هـ، سبط بن الجوزى: شمس الدين أبى المظفر يوسف بن قزاوغلى بن عبد الله البغدادى (ت ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق حنان خليل محمد، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٨٦، الدوادارى: أبى بكر عبد الله بن أيبك الداوادارى (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر، حـ ٦، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٨٣٠هـ / ١٩٦١م، ص ١٦١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢١٠.

(٢) كان أبو الهيجا بن منجا القرمطى بدمشق في نحو ألفى رجل، ولما طلبوا منه المال قال: ما معى فانفض عنه كثير من جنده، وقبض عليه هو وابنه، وتم حبسهما مع بعض الكافورية والإخشيدية، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢١٠.

(٣) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ١٨٦، الدوادارى: كنز الدرر، حـ٦، الدرة المضية، ص ١٩١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢١٠.

قال: لأنكم غيرتم الملة وقتلتم العلماء والصالحين وادعيتم أن نور الإلهية فيكم"[١].

ولعلنا نلمس فيما أورده ابن النابلسى شيئا من استشراف المستقبل ، فيما يتعلق بالفاطميين من الإقدام على قتل العلماء والصالحين، حيث أن ذلك سيكون في عصر لاحق من عمر الدولة الفاطمية، فضلا عن موضوع نور الإلهية، وما يتعلق بتلك المسألة، وانتشار أمرها في عهد لاحق.

عوقب ابن منجا القرمطى وابنه بالحبس، وذلك من عقوبات التصفية بسلب الحرية، وأمر المعز بتشهير ابن النابلسى ثلاثة أيام، وضربه كل يوم ألف سوط، ثم سلخه في اليوم الثالث، ففعل به ذلك، وكان مما يقوله عند عقوبة اليوم الأول (هذا امتحان) وفى اليوم الثانى (كفارات) وفى اليوم الثالث (درجات) ثم تم سلخه عن طريق بعض اليهود، من رأسه حتى قدميه وهو لا يتأوه، حتى أن بعض من سلخه أشفق عليه فطعنه بسكين في فؤاده فمات، وحشى جلده تبنا وصلب[٢].

وهكذا تسبق تصفية ابن النابلسى عدة عقوبات تمثيلية على سبيل التنكيل، وذلك بتشهيره وضربه بالسوط، ثم التمثيل به بسلخه حيا، وكلها عقوبات لا تستند إلى تشريع، خاصة إذا علمنا أن ابن النابلسى لم يتعد القول في كراهيته للدولة الفاطمية، وكان الأجدر بالمعز أن يقربه إن كان يخاف شرا من جانبه، ويقطع لسانه بالإحسان إليه، أو يكتفى بسلب حريته عن طريق الحبس، أو

(١) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان، ص ١٨٦، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ١٦٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ١، ص ٢١٠.

(٢) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ١٨٦، الدوادارى: كنز الدرر، حـ١، الدرة المضية، ص ١٦٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢١١.

تحديد الإقامة، لكن النحو الذى جرت عليه معاقبته مبالغ فيه بشكل غير مقبول.

وسائل التصفية على عهد العزيز بالله[١] (٣٦٥ – ٣٨٦هـ / ٩٧٥ – ٩٩٦م):

لما وقعت الاضطرابات في بغداد حاضرة الخلافة العباسية بين الجنود الأتراك والديالمة[٢] وكثرت الفتن خرج القائد أفتكين[٣] وكاتب سيده معز

(١) أبو المنصور نزار بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى الخامس من خلفاء الدولة العبيدية، ولد بالمهدية في المحرم سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، ولى العهد من أبيه في حياته ثم بايعه الناس فى يوم وفاة أبيه في ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ، توفى في رمضان سنة ٣٨٦هـ، بمدينة بلبيس بعلتى القولنج والحصاة، وله من العمر ٤٢ سنة، ومدة ولايته ٢١ سنة وخمسة أشهر، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤، ص ١٥، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدولة المنقطعة، ص ٣١، ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٩٣، ص ٩٤، ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨٠، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٥٣، ص ١٥٤،المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢٣٦.

(٢) الأتراك، هم طائفة من الجند الذين تم إدخالهم إلى قوات الخلافة العباسية منذ عهد المأمون، وأكثر منهم المعتصم، وزاد في امتيازاتهم، حتى أصبحوا أصحاب الحول والطول فيما بعد وسيطروا على شئون الخلافة والخلفاء، أما الديالمة فهم جنود معز الدولة بن بويه، وكانوا من البلاد المحيطة ببحر قزوين، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٥٤.

(٣) من قادة جند معز الدولة بن بويه، خرج من بغداد مغاضبا لسيده وللخليفة العباسى، ووصل دمشق، فوجدها على حال من الاضطراب، وسيطر الأحداث على أمورها، ووقع الخلاف بين أحداث دمشق والمغاربة جند الخلافة الفاطمية التي حاولت بسط سلطانها على دمشق، فخرج إليه أهلها وأعيانها، وأبدوا السرور بمجيئه، وسألوه الولاية عليهم، فكاتب المعز ولوح بالولاية وموه عليه، فطلبه المعز فامتنع، ووافق ذلك وفاة المعز. النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٥٥.

الدولة[١] بالسيطرة على أمور دمشق[٢]، ويبشره بقرب السيطرة على مصر إذا ما أمده بالعسكر، إلا أن سيده لم يستجب له، فاضطر إلى مكاتبة القرامطة، فقدموا إليه وتوطدت العلاقات معهم، وأصبحوا يداً على الفاطميين، وهنا كانت بداية أمر أفتكين[٣].

كان من أمر أفتكين مع الفاطميين من الانتصار عليهم، وخروج دمشق عن سيطرتهم، حتى خرج إليه العزيز بنفسه، وتمكن من هزيمته، وجيء إليه بأفتكين أسيرا، وفى عنقه حبل فأحسن إليه العزيز، ومن عليه، ورجع به إلى مصر، وأنزله في دار حسنة بعد أن هيأها له، وأمر وجوه وأعيان الدولة بالركوب إليه، وكان من جملة من ركب إليه الوزير يعقوب بن كلس[٤] فهاداه

(١) معز الدولة أبى الحسن أحمد بن بويه، الذى حكم العراق في الفترة من ٣٣٠ – ٣٥٦هـ / ٩٤١ – ٩٦٦م، وهو واحد من أخوة ثلاثة من العنصر الفارسى، استطاع السيطرة على بغداد بعد عدة حملات، كتب له السيطرة عليها فنكل بالخلفاء، وعزل وولى وقتل منهم كيفما شاء لا لشئ إلا لضعفهم، واستمر استبداد بنى بويه بالحكم في بغداد حتى كانت نهايتهم على يد السلطان طغرلبك السلجوقى، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٥٤.

(٢) دمشق: قصبة الشام، سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا، وقيل غير ذلك كثير، فتحها المسلمون سنة ١٤ ه بعد حصار، وبها من قبور الصحابة والتابعين عدد كبير. ياقوت الحموى: معجم البلدان، حـ٢، ص ٤٦٣ إلى ص ٤٧٠.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٥٦، ص ١٥٧.

(٤) أبو الفرج يعقوب بن كلس يهودى من أهل بغداد، ذا مكر وحيلة ودهاء وذكاء وفطنة، خرج إلى الشام ونزل الرملة، وكان وكيلا للتجار، فلما اجتمعت له أموال التجار كسرها، وهرب إلى مصر أيام كافور الإخشيدى وتاجر له، وكان ماهرا، فقال عنه كافور، لو كان هذا مسلما لصلح أن يكون وزيرا، فبلغته مقولة كافور فطمع في الوزارة، ثم أعلن إسلامه، وبلغ وزير كافور (ابن حنزابة) الأمر فصادره وضيق عليه ففر إلى المغرب، واتصل بالمعز، ثم أتى معه إلى مصر، فاعتمد عليه المعز واستولى على أمر العزيز، ففوض إليه أموره، توفى في ذي الحجة سنة ٣٨٠هـ، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٢، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٦٥.

ولاطفه، وزاد أمر أفتكين وتكبر على ابن كلس، فامتنع ابن كلس من الركوب إليه، حتى أن العزيز أمره بالركوب إليه فلم يجب(١).

زادت الوحشة بين يعقوب بن كلس وأفتكين حتى استحكمت، وأخذ ابن كلس يدبر في الخلاص منه فدس إليه سما قتله به، ولما انتهى أمره على هذا النحو حزن عليه العزيز حزنا شديدا، واتهم ابن كلس بالدس عليه وقتله، ومن ثم أمر باعتقال ابن كلس، فاعتقل نيفا وأربعين يوما، إلا أن أمور العزيز اضطربت بعد اعتقاله فأمر بإطلاقه، وإعادته إلى رتبته(٢).

وهكذا كان العزيز على درجة عالية نم التسامح حتى مع أعدائه، وهى السياسة التي لم نعهدها في حكم المعز، وإذا كان المعز قد واجه خصوما واضطرابات، فإن ذلك مردود عليه، خاصة وأن تلك الاضطرابات والخصوم ظلت قرينة تلك الدولة منذ لحظة ميلادها وحتى غروب شمسها.

---

(١) الهمدانى: محمد بن عبد الملك الهمدانى (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبرى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٤٤٨، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢١، ابن الأثير: عز الدين أبى الحسن على بن محمد بن محمد الجزرى (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، حـ ٧، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣٥٨، ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٩٣، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٥٤، ص ١٥٧، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٢٠٨.

(٢) الهمدانى: تكملة تاريخ الطبرى، ص ٤٤٨، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢١، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٣٢، ابن الأثير: الكامل، حـ ٧، ص ٣٥٨، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٥٧، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ١٦٣.

فنرى نفس العزيز المسالمة الموادعة (عن مقدرة) هدته إلى تصفية عدوه بتحويله إلى صديق وولى لنعمته، إلا أن غيرة يعقوب قد أفسدت الأمر، فغار من حظوة أفتكين لدى العزيز، وخشى من تقدمته عليه فبادر بتصفيته ودس له السم، فلما اتهمه العزيز بادر باعتقاله، إلا أن تلك التصفية ليعقوب لم يطل مداها، فتم إطلاقه لإعادة التوازن إلى أمور الدولة، أي لم تكن لبراءة ساحته من قتل أفتكين.

وممن جرت تصفيته في عهد العزيز حمزة من (بعلة) أو (تعلة) الكتامى[١] متولى أسوان[٢] وكان قد خرج عن الطاعة، فأخرج العزيز إليه جعفر بن محمد بن أبى الحسين الصقلى[٣] فأخذه وأتى به وبأمواله، فأنعم بها العزيز على افتكين، ودفعه إليه فقتل شر قتلة[٤].

---

(١) هكذا وردت في المصدر بدون نقط، ولم أستدل عليه. المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢٤٥.

(٢) قاعدة مديرية أسوان، وهى آخر بلاد الصعيد الأعلى، كما أنها من ثغور مصر، وهى تعنى باللغة المصرية القديمة (السوق) حيث لما كان الشلال الأول في النيل حدا طبيعيا منيعا صعب الاختراق بين مصر والسودان، وكانت الأوضاع التجارية بين البلدين تستدعى وجود سوق، يتبادل فيه التجار المنتجات، لهذا وجدت مدينة أسوان، وهى معتدلة الهواء، قليلة الوباء، بها الشلالات. محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، حـ ٤، ص ٢١٦، ص ٢١٧.

(٣) جعفر بن محمد بن الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى الصقلى أمير صقلية، من أمراء بنى أبى الحسين بصقلية، كانوا يتوارثونها أي (إمارتها) قدم أبوه مصر مع المعز، ومات بالقاهرة، ولما نافق والى أسوان انتدبه له، فأخذه ودخل به القاهرة، توفى سنة ٣٧٥هـ. المقريزى: المقفى الكبير، حـ ٣، ص ٦٠: ص ٦٢.

(٤) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ١، ص ٢٤٥، ص ٢٤٦.

وقد أورد المقريزى أن ابن كلس قد دفع العزيز دفعا ليخرجه من مصر إلى صقلية[١] واليا عليها، وذلك خشية أن ينافسه في مكانته[٢]، ويبدو أن هذا الأمر أصبح دأب الوزير ابن كلس في إبعاد خصومه، أو من يومئ بنبوغ أو رفعة مكانة لدى العزيز، إلا أنه استخدم طرقا بعضها مشروع، كما في حالة جعفر بن أبى الحسين الصقلى، وبعضها غير مشروع كتصفية أفتكين بالسم.

ومن عجيب الاتفاق أن يكون هذا هو موقف العزيز مع أفتكين، الذى كان لوقت ليس بالبعيد ألد عدوا له، فعفا عنه، وأصبح أخص أوليائه، وهذا قائد كتامى على إحدى الولايات، كما أنه معدود من أولياء الفاطميين، ينزل عليه العزيز غضبه لخروجه عن الطاعة، ويدفعه إلى بعض قادته ليتولى تصفيته.

وممن جرت تصفيته في عهد العزيز بالله عيسى بن نسطورس[٣] النصرانى ومنشا ابن إبراهيم الفراد[٤] وذلك أن رجلا من المسلمين كتب رقعة

---

(١) المقريزى: المقفى الكبير، حـ ٣، دار الغرب، ١٤٤١هـ / ١٩٩١م، ص ٦٠: ص ٦٢.

(٢) المقريزى: المقفى الكبير، حـ ٣، ص ٦٢.

(٣) عيسى بن نسطورس من أقباط مصر، ومنشا بن إبراهيم من يهودها، كان العزيز بالله قد استخدمهما في دواوين مصر والشام، فسلكا مسلكا سيئا في ولايتهما وقربا بنى جلدتهما من النصارى واليهود، وأبعدا المسلمين، فقبض عليهما ثم أطلقا بشفاعة سيدة الملك ابنة العزيز، وتمت تصفية عيسى بن نسطورس في خلافة الحاكم. سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٢٤١، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٦٧.

(٤) سبط بم الجوزى: مرآة الزمان، ص ٢٤١، النويرى: نهاية الأبر، حـ ٢٨، ص ١٦٧.

إلى العزيز، ودفعها لامرأة ألقتها عليه في موكبه عندما مر بها، فلما قرأها إذ فيها " يا مولانا بالذى أعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا ابن إبراهيم وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمرى"(١).

ولما قرأها العزيز غضب وطلب المرأة فلم يجدها، وعاد إلى قصره، وأخذ في تدبير الأمر، وقال لقد صدقت المرأة، ونبهت على ما كنا فيه من الغلـــط، فقبض عليهما، وأمر ألا يستخدم أحد من أهل الذمة في دواوينه(٢).

والحقيقة أن تصفية وجودهما بالإبعاد عن ولاية الدواوين كان لتهدئة ثورة الرأي العام الإسلامي، الذى سخط تسلط أهل الذمة، ولم يكن رغبة من العزيز الذى عُرف بتقريبه للنصارى خاصة وأهل الذمة عامة، يدلنا على ذلك أنه ما لبث أن عفا عنهما بواسطة ابنتة سيده الملك التي كان يحبها ولا يرد لها أمرا، فأعادهما بعد أن شرط عليهما أن لا يستخدما نصرانيا ولا يهوديا(٣).

---

(١) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٢٤١، النويرى ك نهاية الأرب، حـــ ٢٨، ص ١٦٧.

(٢) ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٤١، ابن الأثير: الكامل، حـــ ٧، ص ٤٧٧، سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٢٤١، النويرى: نهاية الأبر، حـــت ٢٨، ص ١٦٧، سلام شافعى: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمى الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٣٠.

(٣) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٢٤١، سلام شافعى: أهل الذمة في مصـــر فـــي العصر الفاطمى، ص ٣١.

وممن وقعت تصفيتهم أيضا في عهد العزيز بالله رجل من التجار الغرباء، كان ينزل قيسارية الإخشيد[١] التي يسكنها البزازون[٢] خلف الجامع العتيق[٣]، فقُتل حيث نزل، وأخذ ماله، فقام صاحب الشرطة السفلى[٤] باعتقال جماعة من أولاد التجار، وبعض من كان ساكنا بالقرب من قيسارية الإخشيد، فكثرت القالة على صاحب الشرطة، وأنه دس على الرجل من قتله وأخذ ماله، ولما وصل الخبر إلى العزيز أوكل الأمر إلى وزيره يعقوب بن كلس، وأمره بتشمير ساعد الجد للوقوف على حقيقة الأمر، وأمره أن يولى الشرطتين من هو حقيق بهذه الولاية[٥].

---

(١) الواقعة خلف الجامع العتيق. المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ١، ص ٢٦٤، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٣، ص ١٤٠.

(٢) البزازون: تجار الثياب والأقمشة، المعجم الوجيز، ص ٤٨.

(٣) جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وكان يسمى تاج الجوامع في عهد ازدهاره، ولما كثرت الجوامع إلى جانبه في الفسطاط والقطائع والقاهرة، سمى الجامع العتيق، وسميت الفسطاط مصر العتيقة، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ١، ص ٢٦٤، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ٥: ص ٢١.

(٤) الشرطة: هم الجنود الذين يحافظون على الأرض، وكان للفسطاط شرطة منذ الفتح، وكان متوليها يحتل المكان الثانى بعد الوالى، ولما أسست العسكر أنشئت فيها شرطة= =أخرى سميت الشرطة العليا لعلو العسكر عن الفسطاط، كما سميت شرطة الفسطاط بالشرق السفلى، ولما فتح جوهر مصر، وأنشأ القاهرة نقل إليها الشرطة العليا، وظلت كذلك طوال عهد الفاطميين والأيوبيين والمماليك. القلقشندى: أبى العباس أحمد القلقشندى، (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، حـ ٤، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م، ص ٢٣.

(٥) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ١، ص ٢٦٦.

وما كان من الوزير إلا أن صرف متولى الشرطتين وغلمانه، ومن كان متهما فيهم بقتل ذلك التاجر، والاستيلاء على أمواله[١]، ويبدو أن الأمر اقتصر على تصفية متولى الشرطة وأعوانه بعزلهم عن تك الولاية، ولم تجر تصفيتهم أو تصفية المتهم بقتل ذلك التاجر بإعدامه وضرب رقبته، وربما كان ذلك راجعا إلى عدم توفر الدليل الذى يؤكد ذلك الأمر، فتم العدول عن ذلك إلى العزل والصرف عن الولاية.

ويتضح مما سبق مدى تخوف العزيز وانزعاجه الشديد من قتل ذلك التاجر، خاصة في المواضع التي يفترض بها أن تكون مأمنا له، وتؤخذ أمواله، ويلقى بالتهمة على من يوكل إليه حفظ الأنفس والأموال، وتعد هذه التصفية للتاجر غيلة بدون وجه حق.

وكذا تمت تصفية ابن العداس[٢] حيث ضمن[٣] ابن العداس مال الدولة، بعد وفاة يعقوب بن كلس سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م، ثم جلس في القصر لتدبير شئون

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ١، ص ٢٦٦.

(٢) أبو الحسن على بن بن عمر العداس متولى الوساطة، وتدبير أمور الدولة للعزيز بالله بعد وفاة يعقوب بن كلس، ابن الصيرفى: أمين الدين أبو القاسم على ابن منجب بن سليمان الكتاب (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، ط. الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص ٥٤، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٢٣١.

(٣) نظام مالى غير شرعى يقضى بأن يلتزم شخص أن يدفع مقدما للدولة مقدارا معينا من المال عن الجهة التي يضمنها، ثم يطلب بذلك المقدار، فإن زادت الجهة فله، وإن نقصت فعليه، وعند العجز عن الوفاء يصدر الخليفة أو الوزير سجل بالمسامحة بالضمان. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٣٥، ابن مماتى: الأسعد بن مماتى الوزير الأيوبى (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، كتاب قوانين الدواوين، جمع وتحقيق عيزز سوريال عطية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٣٣٥.

الدولة، ولما انقضى عام، وتمت محاسبته على دخلها تبين حدوث خلل وخسارة في الأموال، فأصدر العزيز أوامره بمطالبته، فتعهد بضمان تلك الأموال، إلا أن العزيز عاد بعد ستة أيام، وأمر باعتقاله في دار حسين الرائض[1] وتمت مصادرة أملاكه، وشهد من تولى محاسبته أنه ما خان ولا حاز تلك الأموال وإنما خانه ضمانه، وظل في الاعتقال إلى أن رضى عنه العزيز، ورده إلى عمله بالدواوين، وكانت مدة اعتقاله سبعة وخمسين يوما[2].

يتضح من قصر فترات الاعتقال عدم التشدد في معاقبة الجناة، ويبدو أنها كانت سمة في عهد العزيز.

وفى سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م كان العزيز بالله قد خرج لاستعراض الأسطول، ونودى في أرجاء البلاد بعدم التأخر عن المسير إلى الأسطول، فوقعت النار فيه وقت صلاة الجمعة، فأتت على ما فيه من عدة وسلاح، ولم يبق منه غير ست مراكب لا تحوى شيئا، واتهم في ذلك أسرى الروم، وكانوا قد نزلوا في دار بجوار دار الصناعة[3]، فهاجمهم العامة، وقتلوا منهم مائة

---

(١) الحسن بن عبد الرحمن الرائض قائد خيول العزيز بالله، ابن الصيرفى: الإشارة، ص٥٤.

(٢) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٥٤، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص٢٣١.

(٣) دار صناعة السفن بالمقس، وهى مطلة على النيل، وكان ساحل النيل حينئذ يصل إلى المقص، وكانت هذه الدار معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول لغزو الفرنج، ويحضر بين يدى الخليفة المقدم والرئيس، ويتم عمل استعراض ببعض ما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح. المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ ٢، ص ٣٦٨، ص ٣٦٩.

وسبعة أنفس، وكان العزيز قد أوكل أمر التحقيق لعيسى بن نسطورس ومتولى الشرطة، وبالتحقيق معهم اعترفوا بأنهم أحرقوه، وشرع عيسى بن نسطورس في تتبع النهّابة فظفر بهم، وحبس البعض بعد أن أنزل بهم ألوانا من الضرب الشديد(١). ولعظم الخطب تولت العامة إنزال عقوبة التصفية الجسدية بهؤلاء الأسرى، حيث لم يخالجهم الشك في ضلوعهم في حرق الأسطول، ولم يتوان ابن نسطورس ومتولى الشرطة في تتبع النهاية، أولئك المستفيدون من كل المصائب، ولم تتحرك داخلهم مشاعر الوطنية، وعدة الوطن وسلاحه فى تلك السفن، فأقبلوا على نهبها، فكانت مجازاة بعضهم بالتصفية بالحبس، والبعض الآخر بالضرب المبرح كل حسب حجم جرمه ونهبه.

ومن أجل ما أثر عن عفو العزيز، وعدوله عن تصفية مبغضيه، ما ورد عن وجود شاعر بمصر اسمه الحسن بن بشر الدمشقى(٢) وكان يكثر في الهجاء، وكان من جملة من هاجهم الوزير يعقوب بن كلس، وكاتب الإنشاء من جهته(٣) وفيما قاله الدمشقى:

---

(١) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٦٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ١، ص٢٩٠.

(٢) الحسن بن بشر الدمشقى: عاش في مصر في عهد العزيز، وكان كثير الهجاء له ولوزيره، وكثير من أعيان دولته، فشكاه ابن كلس للعزيز فطلب منه العفو عنه، فتمادى في الهجاء، فقبض عليه الوزير وقتله دون مشاورة العزيز، فاغتم لذلك، ابن الأثير: الكامل، م٧، ص ٤٧٧، ص ٤٧٨.

(٣) عبد الله بن الحسين القيروانى: أبا نصر عبد الله بن الحسين القيروانى، كاتب الإنشاء في عهد العزيز بالله، كان من جملة من هجاهم الشاعر ابن بشر الدمشقى. ابن الأثير: الكامل، م٧، ص ٤٧٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ١، ص ٢٩٨.

قـل لأبـى نصـر كاتـب القصـر والمتـأتى لـنقض ذلـك الأمـر
انضـض عـرى الملـك العزيـز تفـز منـه بحسـن الثنـا والـذكر
واعـط وامنـع ولا تخـف أحـدا فصـاحب القصـر لـيس في القصـر
ولـيس يـدرى مـاذا يـراد بـه وهـو إذا درى فمـا يـدرى

شكا ابن كلس هذا الشاعر إلى العزيز فقال له: " هذا شيء اشتركنا فيه في الهجاء، فشاركنى في العفو عنه "[1].

ثم قال ابن بشر الدمشقى معرضا بالفضل قائد العزيز:

تنصـر فالتنصـر ديـن حـق عليـه زماننـا هـذا يـدل
وقـل بثلاثـة عـزوا وجلـوا وعطـل مـا سـواهم فهـو عُطـل
فيعقـوب الـوزير أب وهـذا العـزيز ابـن وروح القـدس فضـل

فشكاه الوزير إلى العزيز، فغضب إلا أنه قال: " اعف عنه " فعفا عنه[2].

ثم دخل يعقوب على العزيز قائلا: لم يبق للعفو عن هذا معنى وفيه غض عن السياسة ونقص لهيبة الملك، فإنه قد ذكرك وذكرنى وذكر ابن رباح نديمك بقوله:

زبـارجى[3] نـديم وكليسـى وزيـر نعم على قدر الكلب يصلح الساجور[4]

أمر يعقوب بن كلس بالقبض على ذلك الشاعر، وأودعه السجن، ثـم بـدا للعزيز إطلاقه، فأرسل من يخرجه، إلا أن ابن كلس كان له عـين بالقصـر،

(١) ابن الأثير: الكامل، م٧، ص ٤٧٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ١، ص ٢٩٨.
(٢) ابن الأثير: الكامل، م٧، ص ٤٧٨، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ١، ص ٢٩٨.
(٣) زبارجى من فعل زبرج أي حسن وزين، وعلى ذلك فهو المحسن أو المزين. المعجـم الوجيز، ص ٢٨٥.
(٤) الساجور: الطوق الذى يوضع في عنق الكلب، المعجم الوجيز، ص ٣٠٣.

فأوقفه على أمر الوزير، فسابق رسول الخليفة إلى الشاعر بالسجن فسبقه، وأمر به فقتل، وعندما وصل رسول العزيز، وجد الشاعر قد قتل وقطع رأسه، فاغتم العزيز لذلك(١).

رأينا كراهة العزيز لتصفية ذلك الشاعر رغم إقدامه على هجاء الخليفة بأقبح الألفاظ، وهو ما يدل على سعة عفوه ولين جانبه.

يتضح من جملة حالات التصفية التي شهدها عصر العزيز بالله الفاطمى، مدى ما وصلت إليه الدولة الفاطمية من استقرار في مصر، انعكس على قلة حالات التصفية خلال عصر العزيز، ومدى ما تحقق من القوة التي تعزى في المقام الأول لسياسة الشدة التي سار عليها المعز والد العزيز، فضلا عن مقدرة الخليفة على حل ما قد يعرض له من مشكلات قد تؤدى إلى تزايد حالات التصفية، في صفوف أرباب الدولة ورعاياها، فضلا عما لمسناه وتسامحه حتى مع الذين ناصبوه العداء وشكلوا خطرا جسيما عليه في بعض الأوقات.

وسائل التصفية في عهد الحاكم بأمر الله(٢) (٣٨٦ـ ٤١١هـ / ٩٩٦ – ١٠٢٠م):

أول ما نورده من وسائل التصفية على عهد الحاكم ما كان من أخته سيدة

---

(١) ابن الأثير: الكامل، م٧، ص ٤٧٨.

(٢) هو أبو منصور على بن العزيز بالله ولد بمصر في ربيع الأول سنة ٣٧٥هـ، ولاه أبوه العهد سنة ٣٨٣ه، وولى الخلافة في رمضان سنة ٣٨٦هـ، وعمره إحدى عشر سنة، ولم يزل في الخلافة إلى شوال سنة ٤١١هـ، حيث خرج في السابع والعشرين من شوال فطاف ليله كلها على رسمه حيث كان يخلو بنفسه في جبل المقطم، وفقد في هذه الليلة ولم يرجع، واختلف في أمره، وكان عمره يومئذ ستا وثلاثين، وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٤، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٤٣، ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٩٤: ص ٩٧، ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨١، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٦٧، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٢٥٦،المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٣، ص ٤.

الملك ابنة العزيز التي حدثت نفسها بالوثوب على الحكم، واتخاذ ابن عمها[١] وليا للعهد، وكانت مشتهاة عليه فأحس برجوان[٢] بذلك فقبض عليها، وحملها مع ألف فارس إلى قصرها بالقاهرة[٣].

ولا أدرى مدى صحة هذا الخبر الذى لم يورده إلا ابن القلانسى، خاصة وأنه لم يرد عن سيدة الملك بالمصادر إلا مدى شغف أبيها بها، واستجابته لكل ما تطلبه.

وفى شهر المحرم سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م، كان عيسى بن نسطورس متولى الوزارة على حاله، فأمر ابن عمار[٤] بالقبض عليه لما بلغه عنه من

(١) لم تورد المصادر أي أبناء عمها، ولم تذكر عنه سوى أن اسمه عبد الله. ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٤.

(٢) أبو الفتوح برجوان الخادم، كان خصيا أبيضا نشأ في بلاط العزيز بالله، وأوصاه على ولده منصور الذى خلفه باسم الحاكم، وكانت السلطة في أول عهد الحاكم في يد برجوان، إلى أن تقلب عليه الحاكم وقتله على يد ريدان الصقلبى في ربيع الآخر سنة ٣٩٠هـ، وإليه تنسب حارة برجوان، مجموعة الوثائق الفاطمية: وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، سجل تدبير قتل الخليفة الحاكم بأمر الله لوزيره برجوان، جمع وتحقيق جمال الدين الشيال، الوثيقة الثانية عشر، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ١٤٥، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٥٧، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٦٨.

(٣) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٤.

(٤) ابن عمار: أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمار بن على بن أبى الحسين محمد بن الفضل بن يعقوب الكلبى، كان شيخ كتامة وسيدها، تميزت فترة وزارته بتفوق البربر، ومعاداتهم لعناصر الجيش الأخرى، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٥٦.

ضلوعه في التدبير عليه مع آخرين، وأمر بتعذيبه، واستخرج منه سبعمائة ألف دينار، ثم أمر بإخراجه على حمار إلى المقس[١] وضرب عنقه هناك[٢].

وكان يؤخذ على ابن نسطورس مبالغته في القبح مع المسلمين، وعندما سُئل عن ذلك رد بقوله: إن شريعتنا متقدمة، والدولة كانت لنا، ثم صارت إليكم فجرتم علينا.. فمتى كان منكم إلينا إحسان حتى تطالبونا بمثله ثم أنشد:

بنت كرم غصبوها أمها ثم داسوها هوانا بالقدم
ثم عادوا حكموها فيهم وأناهيك بخصم قد حكم[٣]

على هذا النحو تأتى تصفية ابن عمار لابن نسطورس استجابة لامتعاض الرأي العام الإسلامي، وما يثير التساؤل أن عيسى ابن نسطورس، كان قد تمت تصفيته بالعزل عن عمله لميله لأهل ديانته في عهد العزيز، فكيف يقدم على العودة إلى سابق عهده؟ وربما دفعه لذلك صغر سن الحاكم، وتغلب مدبرى دولته عليه، فأتى من حيث مأمنه.

كان برجوان قد خاف من غلبة ابن عمار، والجنود المغاربة فشرع في

(١) قرية كانت تسمى أم دنين على شاطئ النيل تجاه القاهرة، كان المعز قد أنشأ بها دارا لصناعة السفن، وأنشأ بها ستمائة مركب، واتخذ الفاطميون منها منظره للتنزه واستعراض الأسطول، محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق١، حـ ١١٤، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ ٢، ص ٣٦٨، ص ٣٦٩، م٢، حـ ٣، ص ٣٠٧.

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٦، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٦٨.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ص ١٦٨، ١٦٩.

تدارك أمره بالاتفاق مع الجند الأتراك، إلا أن ابن عمار قد شعر بما أقدم عليه برجوان، فسارع بالتدبير عليه والفتك به، وكان برجوان قد دس عليه عيونا أوقفته على ما يحاك به في دار ابن عمار من الجند المغاربة، ففر ابن عمار هاربا، ووقعت الحرب بين أتباع برجوان من الجند الأتراك والمشارقة، وأتباع ابن عمار من الجند المغاربة، وحمل الغلمان على ابن عمار فهزموه، وتفرق جمعه واستتر عند بعض العامة(١).

فكانت أول تصفية تعرض لها ابن عمار هي تقييد حريته بالاختفاء في بعض دور العامة نجاة بنفسه، إلا أن برجوان أخذ يتلطف به حتى خرج من مخبأه، وأعاده إلى داره، وأجراه على سابق عهده من مستحقاته من الدولة على ألا يدخل عليه أحد(٢).

وربما كان هذا أقصى ما فكر فيه برجوان من حيث تصفية وجود ابن عمار على الساحة السياسية في مصر، حيث يتمكن بعدها من إضعاف شوكة الجند المغاربة، وقد ظل ابن عمار على هذا الحال حينا من الدهر.

كان من الحاكم بأمر الله في أمور التصفية عجبا، ومن ذلك أنه مر على

(١) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٩، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٧٢.

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٥٠، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٧٢.

حمام الذهب[١] فسمع بها غوغاء النساء فأمر ببابها فبنى عليهن فسُد، وأمر أن يحمى عليهم فلم يبرحوا حتى موتن عن آخرهن من غير جرم فعلنه، وجاء كل من له أهل بتلك الحمام وأخرجهن وغسلهن ودفن[٢].

وهذه التصفية من جملة التصفيات التي لم يوقف لها على سبب، ولم نعلم لهن ذنب جنينه، ويرجح أن يكون سبب ذلك ما نما إليه من أسرار تلك النسوة، والتي اطلع عليها من خلال العجائز اللاتى رتبهن للدخول على الناس، فعلم أمورا أغضبته من حب فلانه لفلان، وأخرى تقابل فلان، فقتل جماعة من النساء[٣]، وسعى للخلاص من كثير من النساء بالتصفية، أو تحديد الإقامة بالمنازل، رغبة منه في تحقيق قدر من الفضيلة بعدما شاع المجون والاختلاط، فكان أن شرط ألا تخرج امرأة من بيتها، ومتى ظهرت امرأة غُرقت في النيل[٤].

---

(١) كان هذا الحمام بدار الذهب، إحدى مناظر الفاطميين للتنزه، وقد خربت هذه الحمام، ولم يبق لها أثر. المقريزى: المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٣، ص ١٣١.

(٢) ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨١، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٢٥٨.

(٣) ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨١.

(٤) ابن الجوزى: ابى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حـ ١٥، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٠١.

كان الحاكم قد أصدر أوامره ألا تُزرع الملوخية بأرض مصر، وقتل على ذلك جماعة وجدت عندهم(١)، وكذا نهى عن بيع الترمس والجرجير والسمك الذى لا قشر له، وأمر بالتشديد في ذلك، والمبالغة في تأديب من يتعرض لبيع شيء من ذلك، ولما تبين قيام جماعة ببيع شيء من ذلك، ضربهم بالسياط وطيف بهم، وضربت أعناقهم(٢).

وكان يجدر به أن يتحرز عن إراقة الدماء لمثل تلك التوافه، خاصة وأنها لا تتعارض مع شرع أو عرف، ويبدو أن المنع من هذه الأشياء كانت لأهواء خاصة لديه، فضلا عن كونها أطعمة اعتادها الناس، ومن المؤكد أن هؤلاء الذين خالفوا الأوامر لم يجدوا مسوغا مقنعا لهذه الأوامر، فكان الإقدام على تشهيرهم وتعذيبهم، وتصفيتهم بضرب أعناقهم.

تصفية برجوان سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م:

كان برجوان كثير الشفقة على الحاكم، خاصة بعد الاضطرابات التي شهدتها الفترة الأولى من خلافته فمنعه من الركوب، كما منعه من العطاء لغير المستحقين، حفظا لماله، وكان الحاكم يُسر بما في مكنون نفسه تجاه برجوان لخادم خصى يقال له ريدان(٣)، فأغراه ريدان ببرجوان قائلا:: " إنه يريد أن

(١) ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٩٨، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٢٥٨.

(٢) ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٩٨، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٢٥٨.

(٣) ريدان الصقلبى، والصقالبة جنس من الناس يجلب منهم الخدام في تلك الآونة، وريدان هذا هو صاحب المظلة التي تحمل بين يدى الخليفة، وكانت تلك وظيفته على عهد كل من العزيز والحاكم، حتى كان مقتله على يد الحاكم. ابن خلكان: أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حـ١، حـ ٥، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، حـ ١، ص ٢٧١، حـ ٥، ص ٣٧٥.

يجريك مجرى ولدى الإخشيد[١] ويجرى نفسه مجرى كافور[٢].. والصواب أن تقتله، فطلب منه الحاكم المساعدة في ذلك الأمر[٣].

تعاقد الحاكم وريدان على قتل برجوان عند دخولهما البستان للتجول فيه، وعند دخول الحاكم تبعه برجوان وريدان خلفه، فضربه ريدان بسيكن بين أكتافه حتى خرجت من صدره، فصاح برجوان: يا مولانا غدرت، فصاح الحاكم: يا عبيد خذوا رأسه، فتكاثر عليه العبيد وقتلوه، وأخذوا رأسه[٤].

(١) محمد بن طغج الإخشيد بن جف الفرغانى أبو بكر، ولى مصر من قبل الخليفة العباسى القاهر بالله سنة ٣٢١هـ، ولم يدخل مصر، وهذه ولايته الأولى، ثم وليها ثانية بأمر الراضى بالله سنة ٣٢٣هـ، ولقبه الخليفة بالإخشيد، وكان من أمره ما كان من الاستقلال بمصر، على طريقة ابن طولون، ثم توفى سنة ٣٣٤هـ، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ٢، ص ١٢٧، ص ١٢٨.

(٢) كافور الخصى الأسود مولى الإخشيد، ولى أمور مصر وصاية على ولدى الإخشيد، كان يخاطب بالأستاذ كافور، ثم ولى انفرادا من قبل المطيع سنة ٣٥٥هـ، ولم يزل يلى أمر مصر حتى توفى سنة ٣٥٧هـ، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ ٢، ص ١٢٩.

(٣) مجموعة الوثائق الفاطمية، ص١٤٦، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٥٥، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٥٧، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٨، ص ١٧٤، ابن الشحنة: محب الدين أبى الوليد محمد بن محمد (ت ٨١٥هت / ١٤١٢م)، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهنى، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٨٥، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٢٥.

(٤) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٥٥، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٧٥، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٢٦٥، ابن الشحنة: روض المناظر، ص ١٨٥، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٥، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٣، ص ٥، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص ٩٨.

ولعل الدافع لتصفية برجوان هو حقد الحكام لكف يده عن الحكم، واستئثاره بالأمور دونه ظنا منه أنه يعمل على محاصرته، ويحول بينه وبين تدبير أمور دولته، في حين كان يعمل برجوان على تنفيذ وصية العزيز في ولده، ومقابلة نعمة مولاه بالقيام بأمور ابنه، حتى يشب عن الطوق.

وإذا أردنا أن نقف على حقيقة الأمر، والأسباب الموجبة لتصفية برجوان (من وجهة نظر الحاكم) فلنطالع ما ورد بسجل تدبير قتل الخليفة له، ونستطيع أن نستخلص منه ما يلى:

- أن برجوان لما ترقت به الأحوال، وبلغت به الغاية انشغل بلذاته، وأبرم الأمور بغير مشاورة الخليفة.
- كان برجوان لا يبدى الاحترام اللائق بالخليفة، فما ورد على لسان الحاكم بعد قتله: إنه كان سيئ الأدب، وتذكر أنه استدعاه يوما، وهما راكبان، فكان بمحاذاة الخليفة، ورجله على عنق دابته، بحيث أصبح بطن نعله قبالة وجه الخليفة، وحقدها الحاكم، ولم يبد له شيء[1].

ولعل في إصدار سجل بتدبير قتل الوزير سابقة لم أعهدها في خلفاء الدولة الفاطمية، وربما يعزى ذلك إلى شدة ردود الأفعال التي أعقبت قتله، حيث ثارت ثائرة الجند وأرباب الدولة، خاصة وأن برجوان كان يتقرب لكل طوائف الجند، وكبار الموظفين، فضلا عن إدراك عامة الرعية لمكانة برجوان،

(١)مجموعة الوثائق الفاطمية، وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، ص ١٤٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٢٦، ص ٢٧، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٣، ص٥.

وتدبيره لأمور سيده وابن سيده، وإنكارهم لإقدام الحاكم على اغتيال أصحاب الأيادى البيضاء على دولته، وانطلاقا من خشية الحاكم من اضطراب أمور دولته بعد أن خرج الناس وأحاطوا بالقصر، وجد أن لزاما عليه أن يكتب سجلا يبرر فيه قتله لبرجوان، ومما جاء فيه: " إن برجوان عبدى استخدمته فنصح، فأحسنت إليه ثم أساء في أشياء عملها فقتلته "(١).

وليس أدل على خوف الحاكم من مغبة غضب أرباب الدولة من قتل برجوان من استرضائه لهم بقوله: " أنتم شيوخ دولتى، وأنتم الآن عندي أفضل مما كنتم فيه مما تقدم... وما لكل أحد عندى إلا ما يؤثره ويحبه، فكونوا على رسومكم، وامضوا إلى منازلكم، وخذوا على أيدى سفهائكم "(٢).

وقد أتت حيلة الحاكم بالنتيجة المرجوة، حيث رضى الناس بما جاء في ذلك السجل، وقبلوا له الأرض(٣) كناية عن الطاعة فسكنت الفتنة.

وعن تصفية ابن عمار نقول: أنه أُسند إليه تدبير شئون الدولة، في بداية خلافة الحاكم فأساء السيرة وقدم بنى جلدته من المغاربة، فأوغر صدر بقية

---

(١) مجموعة الوثائق الفاطمية: وثائق الخلافة وولاية العهد، ص ١٤٧، النويرى: نهاية الأرب، حـ٢٢، ص ١٧٥، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٢٦، ص ٢٧، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ٣، ص ٥.

(٢) مجموعة الوثائق الفاطمية: وثائق الخلافة وولاية العهد، ص ١٤٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٢٧.

(٣) مجموعة الوثائق الفاطمية: وثائق الخلافة وولاية العهد، ص١٤٧، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٧٥.

الطوائف، خاصة الأتراك، ووقعت فتنة عظيمة[١] بين طوائف الجند، خاف ابن عمار عاقبة الأمور، خاصة بعد تفوق برجوان ومن انحاز إليه، فاختبأ في دور بعض العامة، وتلطف به برجوان حتى أخرجه، وأجراه على رسمه السابق، ونهاه عن دخول أحد إليه، حتى لا يثير الفتن، فاعتزل في داره، ثم صدر له الأمر بالركوب إلى قصر الخليفة، وعند انصرافه من القصر استوقفه جنود أتراك فقتلوه واحتزوا رأسه، ودفنوه، وقيل أنه دفن حيث قتل في اصطبل الطارمة[٢] ثم نقل حيث دفن بالقرافة[٣].

كان الحاكم هو من أمر بتصفيته، أثناء الاضطراب الذى أعقبت قتل برجوان، ويبدو أن الحاكم وسوء سيرته، وهذا ما وضحه الحاكم لابن عم ابن

---

(١) لما تولى ابن عمار تدبير شئون الحكم قدم المغاربة على من سواهم، فكثرت الشكاية من عبثهم، وتعرية المارة في الطرقات، ولم ينكر ابن عمار ذلك، ثم تعرضوا للجند الأتراك، وثار بينهم شر قل فيه واحد من الجند المغاربة، وواحد من الأتراك فرغب أولياء المغربى أخذ قاتله من الأتراك بغية قتله على قبر المغربى، وهنا اجتمع الفريقين ودارت الحرب بينهما، وقتل جماعة، ولبس ابن عمار لباس الحرب، فعاد القتال سيرته الأولى، وجئ لابن عمار بعدة رؤوس، وعندئذ بدا له الخطأ في الركوب، وعاد إلى داره، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢.

(٢) كان بجوار القصر الكبير في الجنوب الشرقى تجاه باب الديلم شرقى الجامع الأزهر، في طرف المشهد الحسينى، والطارمة بيت من خشب. المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ٢، ص ٣١١، ص ٣١٢.

(٣) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٥٦.

عمار[١]، وكان من عمال الحاكم، وقد عدد في هذا الكتاب ذنوب ابن عمار وعيوبه[٢]، ولعله جرى في ذلك مجرى سجله بتبرير قتل برجوان، وحرصا منه على موالاة ذلك الرجل الذى جعله على جزء مهم من مملكته.

وثارت في هذا العام فتنة بسبب الغلاء، وعدم وجود القمح بسبب قصور النيل، وكبس [٣] اللصوص لديار الناس، حيث اشتد الخوف، وأُخذت بعض النساء من الطرقات[٤]، ولم يكن قد مر وقت طويل على فتنة الجند المغاربة الذين كانوا يعرون الناس بالطرقات، ويخطفون الحريم استظهارا بمساندة ابن عمار لهم[٥].

وتمت تصفية عدة أنفس في هذه الفتن المتلاحقة، سواء من جنود الدولة، أو من الحريم، وكانت هذه أول مرة ترد بها تصفية بالخطف في العصر الفاطمى سواء في اضطرابات المغاربة أو في الغلاء الكائن بعدها.

وممن جرت تصفيتهم في ذلك العام رجل من أهل الشام قُبض عليه لمقولته

---

(١) ثقة الدولة أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى والى صقلية، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٥٧.

(٢) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٥٧.

(٣) كبس فلان أي هجم عليه وأحاط به، المعجم الوجيز، ص ٥٢٥.

(٤) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٨، إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ص١٤.

(٥) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢.

(لا أعرف على بن أبى طالب) وأقول أن النبى (صلى الله عليه وسلم) مرسل، غير أنى لا أعرف على بن أبى طالب، فأمر الحاكم بحبسه، ثم روجع في الأمر فأصر على عدم معرفته، وتُرفق به فلم يعترف، فصدر الأمر بضرب عنقه وصلبه[١].

ولا أدرى إذا كان هذا الإنكار من ذلك الرجل عن عمد، بمعنى أن يكون عدم اعترافه بعلى بن أبى طالب ما هو إلا لكرهه وعدم اعترافه بخلفاء الدولة الفاطمية الذين هم من نسله، أو أن ذلك بسبب مرض أصيب به ذلك الرجل، فزال عن ذاكرته أي معرفة بعلى بن أبى طالب، وقد اتُبع مع ذلك الرجل كل الوسائل الواصلة به إلى الاعتراف بسيدنا على (كرم الله وجهه ورضى عنه) إلا أن أصر على موقفه، فعوقب بالتصفية الجسدية والصلب.

كان الحاكم يساير مؤدبه ابن سعيد الفارقى[٢]، فأشار إلى بعض الجند الأتراك بعينه، وكان قد رتب مهم للخلاص منه، فضربوه بسيوفهم، وكان قد علت مكانته، حيث كان يقرأ الرقاع على الحاكم، واستأذن عليه في الأمور كعادة الوزراء[٣].

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٣٩.

(٢) سعيد بن سعيد بن مالك الفارقى، من أسرة الفارقى التي تبوأت مكانة مرموقة في العصر الفاطمى، وتعاقب بعض بنيها على منصب القضاء، وتولى سعيد هذا وظيفته في القصر الفاطمى كمؤدب للمنصور، ثم ترقت به الأحوال إلى أن نكبه الحاكم وقتله ابن حجر العسقلانى: شهاب الدين أحمد بن محمد العسقلانى (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، تحقيق على محمد عمر، ط الأولى، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ٦٠٣.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٤٢.

وإذا كان أبو القاسم قد علت مكانته بقيامه بتلك المهام، فما كان لـــه ذلـــك بدون سماح الحاكم له، أو طلبه منه، حتى خُيل للحاكم أنه قد جرى على عادة الوزراء، أو حدثته نفسه بالدخول فيما لا يجب له الدخول فيه، فأقـــدم علـــى تصفيته دون سابق إنذار، ومدى قرب شخصية ذلك المؤدب أو المربـــى مـــن الحاكم، والمصير الذى آل إليه تشير إلى ان الحاكم لم يكن ليستثنى كائنا مـــن كان من تلك العقوبات والتصفيات التي امتلأ بها عهده، وكأنها إشارة إلى عدم الاغترار بعلو المكانة وقربها من الخليفة، فمن كان كذلك فليوطن نفسه علـــى التصفية في أي حين.

وفى مستهل سنة ٣٩١هـــ / ١٠٠٠م قتل الحاكم بقالا[١] ترقت به الأحوال حتى ولى الحسبة[٢] ودخل فيما لا يليق به، وأساء السيرة في معاملة النـــاس، فأمر الحاكم به فقطعت يده ولسانه، وشهر على جمل، وضربت عنقه[٣].

يتضح أن هذه التصفية كانت لوقف ظلم ذلك المحتسب الواقع على الرعية، فنال ما نال من التمثيل بقطع بعض أعضائه حيا، ثم صفى بضرب عنقه، ولا ندرى حجم الجرم أو الإساءة الواقعة منه على الرعية حتـــى اســـتحق هـــذا

---

(١) الحسبة: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس، الشيزرى: عبد الرحمن بن نصر الشيزرى (ت ٥٨٩ هـــ / ١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر السيد الباز العريبى، الباز الحرينى، إشراف محمد مصطفى زيـــادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٦٥هـــ / ١٩٤٦م، نقل وتصحيح روين ليوى، مطبعة دار الفنون، كمبردج، ١٩٣٧م، ص ٧.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـــ٢، ص ٤٣.

(٣) أبو العلاء فهد بن إبراهيم، رد إليه الحاكم الأمور بعد قتل برجوان، واستمر على هـــذا الحال إلى ان زال أمره حيث قتله الحاكم سنة ٣٩٣هـــ، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٥٨.

العقاب، أم أن هذا يعد من قبيل المبالغة في العقوبة، والتي يبدو أنها كانت سمة عصر الحاكم.

وفى سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠١م ضربت رقبة فهد بن إبراهيم(١) وبيان ذلك كالتالى: أنه اجتمع بمصر ابن النحوى(٢) وابن العداس(٣) المصرى الذى اسند إليه ديوان الخراج فتعاقدا على الوشاية والسعاية بفهد بن إبراهيم إلى الحاكم، وأنه اقتطع أموالا كثيرة، وطلبا أن يجعلهما مكانه في تدبير الأمور، على أن يوفرا له ستة آلاف دينار كل سنة، كان فهد يأخذها لنفسه، ولما عرّض بالقبض عليه، أكدا أن الأمر لا يتم وفهد يؤمل الخروج من محبسه، لاسيما أنه ومعظم الولاة والعمال من صنائع برجوان، وهناك خوف من تحالفهم ضدهما، فامتنع الحاكم وقال: ما له ذنب فأقتله، فألحا عليه، فأخرج ابن النحوى إلى

(١) ابن النحوى من أهل بغداد الطارئين إلى مصر، ترقت به الخدم إلى أن أسند إليه ديوان الحجاز، ثم تولى تدبير الأمور مع ابن العداس بعد سعايتهما، وأسند إليه بلاد الشام، فأساء السيرة فسعت سيدة الملك في القضاء عليه، فاستجاب لها الحاكم، لما وقف على حقيقة أمره. المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٤٦.

(٢) الخراج في لغة العرب اسم للكراء والغلة، وعلى ذلك فهو ما وضع على رقاب الأرضين من حقوق تؤدى عنها، والأصل فيه قوله تعالى: (أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير) وخرجا إما نفعا أو أجرا، الماوردى: أبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادى، ط. الأولى، الكويت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٨٦، ص ١٨٧.

(٣) ابن العداس: أبو الحسن على بن عمر بن العداء تولى الوزارة للعزيز بالله بعد وفاة يعقوب بن كلس، وتولى النظارة بعد مصرع فهد بن إبراهيم النصرانى أيام الحاكم، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٤٦.

الشام، وبقى ابن العداس بالحضرة، ولما عاد الحاكم من طوافه ليلا أمر مسعود السيفى أن يمضى إلى فهد بن إبراهيم يستدعيه، فإذا دخل بحجرة ضرب عنقه، وأحضر رأسه، وكذا أمره بالقبض على أخيه أبا غالب، فمضى إليهما.. ولما وصل عدل به إلى موضع فشعر فهد بالهلاك فصاح واستغاث وبكى، وأقسم على السيفى وأن يراجع الحاكم في شأنه وبذل له الأموال، فقال السيفى: لا سبيل إلى المراجعة، وضرب عنقه وأخذ رأسه، وحمله إلى حضرة الحاكم(١).

وعندما عاد مسعود ليقبض على أخيه أبى غالب فلم يجده، فأمر الحاكم بالبحث عنه، فظفروا به بعد شهر، وقد غير هيأته، وحلق لحيته، فألحقه بأخيه(٢)، ويقال أن سبب تصفية أبا غالب أن أصحاب الأخبار قد نقلوا عنه كلمة تكلم بها وأغضبت الحاكم، فأمر بتعقبه، والقبض عليه حيث قتل وأحرق بالنار(٣).

كما قتل الحسن بن عسلوج(٤) وأحرق بالنار(٥)، وكأنما أصبحت التصفية، وحرق الجثث بعد التصفية عادة متبعة في عصر الحاكم، تعبر عن ما يكنه من عنف، ورغبة في التنكيل بضحاياه.

---

(١) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٥٨، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص٦٠، ص ٦١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٤٤، سلام شافعى: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمى، ص ٣٤، ص ٣٥.

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٠.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٤٤.

(٤) عسلوج بن الحسن، كان قد أشرف على الأموال أيام المعز لدين الله مقاسمة مع يعقوب بن كلس، ثم عمل للعزيز أيضا، وكذا الحاكم. المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٤٦.

(٥) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٤٦.

ثم ضرب الدهر ضرباته، ودارت دائرة الأيام على ابن النحوى، الذى سعى بالأمس القريب بفهد بن إبراهيم، حيث أساء السيرة في بلاد الشام، ونالت الرعية منه عنتا، وكان في بعض عماله بالشام رجل نصرانى، وكانت مقربا من سيدة الملك أخت الحاكم، فشكا إليها ما ناله الناس من ابن النحوى، وبسطه للظلم، فرفعت الأمر للحاكم الذى أرسل بريدا لواليه على الرملة(١)، ليرسل إليه ابن النحوى، فقالت سيدة الملك: يا أمير المؤمنين ومن هذا الكلب حتى ترفع من شأنه بحمله إلى حضرتك، وبطن الأرض أولى به، فأمر بضرب عنقه، وأحضر والى الرملة القاضي والشهود، وكتبوا محضرا بأن الرأس رأس ابن النحوى، ولما وصلت الرأس إلى مصر أحضرت سيدة الملك بحضرة الحاكم وأراها الرأس فشكرته(٢).

وكان من جملة ما بررت به سيدة الملك ضرورة تصفية ابن النحوى وابن العداس قولها: يا أمير المؤمنين قد ظهر كذب ابن النحوى وابن العداس، وأعمالهما الحيلة على فهد، وقتله مساعدة للحسين بن جوهر(٣)، وقد أفسد البلاد

---

(١) الرملة: مدينة بفلسطين، وكانت قصبتها لكنها خربت، وكانت رباطا للمسلمين، بينها وبين بيت المقدس ١٨ يوم، وعندما ولى سليمان بن عبد الملك جند فلسطين نزل بها ومصرها، وينسب إليها جماعة من أهل الفضل، ياقوت الحموى: معجم البلدان، حـ ٣، ص ٦٩، ص ٧٠.

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٠، ص ٦١.

(٣) هو ابن القائد جوهر الصقلى، خلع عليه العزيز بالله بعد موت أبيه، وجعله في رتبته، ولقبه بالقائد بن القائد، ثم قلده الحاكم البريد والإنشاء، ولما قتل برجوان رد إليه الحاكم تدبير أمور المملكة والتوقيعات، ولم يطلق عليه اسم وزير، ولقب بقائد القواد، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ص ٥٨، ٥٩.

عليك، وأوحش الناس منك، فإن كنت تريد أخذ أموال عبيدك فكل يبذلها طوعا ويحملها إلى خزائنك تبرعا... ولم تجر عادات آبائك إطلاق المصادرات[١].

وكان من نتاج تدخل سيدة الملك أن نال ابن النحوى جزاءه، فقد اغتر بانقياد الحاكم له، ولابن العداس في أمر فهد بن إبراهيم، وسار سيرة لا يرضاها كائن من كان، فنال جزاءه بالتصفية الجسدية وحز الرأس.

أصدر الحاكم أمره لمسعود السيفى بأن يأخذ ابن العداس من بين يدى الحسين بن جوهر، وتضرب عنقه بحضرته، ويأخذ رأسه ويضيفها إلى رأس ابن النحوى، ثم يخرجهما إلى الحسين بن جوهر، فلما رآهما جزع[٢]، وكأنما كانت تصفية ابن العداس أمام الحسين بن جوهر ليؤكد له الحاكم على وقوفه على حقيقة ولائهما له، وما يمكن أن يؤول له أمره.

وقد أعقب اضطراب الأمور مع الحسين بن جوهر، خاصة بعد أن صار يترقب التصفية بين الحين والآخر، فكان أن رد الحاكم تدبير الأمور لابن أفلح[٣]، فأقام سنة ونصف ثم صفاه الحاكم، ولما صرف الحسين بن جوهر عن

---

(١) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٠.

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦١.

(٣) أبو الفتح أحمد بن محمد بن أفلح، تولى تدبير الأمور بعد ابن النحوى وابن عداس، وكانت مدته سنة ونصف ثم نكبه الحاكم وقام بتصفيته، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦١.

الوزارة عول الحاكم فيما كان إليه على الروذبارى[١]، ثم تغير عليه بعد سنتين وقتله.

أقدم الحاكم على تصفية ريدان الصقلبى بعدما وقف على تسببه في فشل بعض قادته[٢] في إقرار أمور المغرب، ولما هم الحاكم بقتل ذلك القائد أظهر كتاب ريدان بخطه أن يُدفع إليه المال من برقة[٣] وأنه قبض ذلك من مال الحضرة، فلم يجد ببرقة شيئا من ذلك، وربما توهم ريدان قربه من الحاكم، والأمان من غدره، بإفساد أمر برجوان، والتحريض عليه، ومساعدة الخليفة في الخلاص منه، فكان أن لقى نفس المصير، ودارت الدائرة عليه سريعا.

كان مع يحيى بن على الأندلسى – قائد الحاكم في المغرب – عندما خرج

---

(١) الروذبارى: على بن صالح بن على الروذبارى، تولى الوزارة بعد صرف حسين بن جوهر، ولقب بثقة الثقات، إلا أن الحاكم نكبه بعد سنتين وقتله، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦١.

(٢) يحيى بن على الأندلسى، قائد الحاكم أرسله في بعض المهام إلى المغرب، ولما أخفق كاد يقتله لولا اتضاح الأمور، وبيان تقصير ريدان حامل المظلة في إرسال الأموال له. النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ص ١٧٧، ١٧٨، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣٤.

(٣) برقة: صقع كبير بين الإسكندرية وأفريقية، بينها وبين الإسكندرية مسيرة شهر، فتحها عمرو بن العاص صلحا في عهد عمر بن الخطاب بعد حصار دام شهر، ياقوت الحموى: معجم البلدان، حـ١، ص ٣٨٨، ص ٣٨٩، ليون الأفريقي: الحسن بن محمد الوزان الفاسى (ت ٩٦٢هـ / ١٥٥٤م)، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجى، محمد الأخضر، ط. الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٩٧.

من المغرب إلى القاهرة جماعة من بنى قرة[١] كسروا عسكر يحيى وعادوا إلى مواضعهم بالمغرب، فبعث الحاكم يستدعيهم إلى القاهرة، فلم يستجيبوا له، فأعرض عنهم مدة، ولم يبد اهتماما، وهو حانق عليهم، ثم كتب إليهم أمان، فبعثوا رهائن منهم، وطلب منهم المثول إلى الإسكندرية، ليوقفهم على ما يراد منهم، فتراجع بعضهم خوفا، وقدم بعضهم إلى الإسكندرية، فقتلوا وحملت رؤوسهم إلى القاهرة، وقتل من كان بها من رهائنهم[٢].

وهكذا لم يسلم رجال الدولة وحماتها من غدر الحاكم بأمر الله، فصفاهم بعد أن منحهم الأمان، ولعل هذا التصرف من الحاكم سيترتب عليه عواقب وخيمة، وربما لو عمد إلى تأديبهم بوسيلة غير التصفية لاستقامت الأمور، إلا أنه لم تجر عادة الحاكم بالاستشارة في تلك الأمور، فيقدم على سفك الدماء بجرأة عظيمة.

---

(١) بنو قرة بن هلال بن عامر، من قبائل المغرب العربى، استقروا ببرقة في العهد الفاطمى، عاقبهم الحاكم بالقتل والحرق لفسادهم، فانضموا إلى أبى ركوة نكاية فيه، فهزمهم قائده الفضل بن صالح. ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، حـ٤، حـ٦، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، حـ ٤، ص ص ٧٣، ٧٤، حـ ٦، ص ٦.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٧٨، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣٤، ص ٣٥.

قتل الحاكم منجمه[١] وكان شديد الاختصاص بـــه، ونـــادى بإباحـــة دم المنجمين لأنهم كفار، فهربوا، ولم يبق بالديار المصرية منهم أحد، ولم يســـلم هذا المنجم شديد القرب من الحاكم عن تقلباته، فلقى حتفه، وتمت تصفية بقية المنجمين بإخراجهم من الديار المصرية، وهذا كله مما يحمل علـــى الأهـــواء المتقلبة للحاكم، الذى لم يدم له حال حتى يتحول للنقيض، وكان يجدر بـــه أن يحذر من مزاولة أعمال التنجيم، ويتجنب مسألة إهدار الدم حتى لا تسود حالة من الاضطراب في أرجاء البلاد بسبب ذلك في وقت تتعـــرض فيـــه الـــبلاد لأزمات متنوعة.

وفى سنة ٣٩٣هـــ أقدم الحاكم على تصفية كاتب جوهر[٢] فضرب عنقـــه وأحرق بالنار[٣]، ولم أصل إلى ما يفيد عن سبب هذه التصفية، وربما كانـــت من التصفيات الكثيرة التي أقدم عليها الحاكم دون سبب قوى، أو دون ســـبب أصلا.

وقد أعقب ذلك مجموعة من التصفيات المتتالية لبعض الندماء والأصدقاء، وسبب ذلك: استئذان عبد الأعلى بن الأمير هاشم بن المنصور – وهـــو فـــي

---

(١) العكبرى صاحب الرصد الحاكمى، وكان من أكثر المنجمين اختصاصا بالحاكم، وظل على حاله إلى أن فتك به الحاكم. النويرى: نهاية الأرب، حـــ ٢٨، ص ١٧٨.

(٢) مقداد بن حسين كاتب القائد جوهر الصقلى، النويرى: نهايـــة الأرب، حـــــ ٢٨، ص ١٧٧.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، حـــ ٢٨، ص ١٧٧.

درجة العزيز بالله[١]- أن يخرج إلى بعض ضياعه، فأذن له الحاكم، فخرج في صحبة بعض ندمائه، فبعث الحاكم عينا تأتيه بأخبارهم، فانصرفوا إلى نزهتهم، ولما أكلوا وشربوا، تحدثوا فقال بعضهم لابن هشام: لابد لك من الخلافة فأنت إمام العصر، فلما عادوا ودخل ابن هشام إلى الحاكم، أخرج سيفا من تحت عرشه وضربه به، وحمل إلى داره جريحا، فكتب ابن هاشم إلى الحاكم يعتذر عن ذنبه، ويذكر أن ضربته سالمة، ويسأل الإذن في العلاج، فوافق الحاكم، ولما نقه استأذن في الدخول إلى الحمام، فأذن له وأرسل إلى الحمام من ذبحه، وأتى برأسه[٢].

ثم أرسل الحاكم إلى كل من حضر مجلس ابن هاشم فقتلوا، وأحرقوا بالنار[٣] ، ويتجاوز الحاكم كل حدود الغدر حتى يأتي على بعض أعمامه، ويصفيه بعد أن يمنحه الأمان، وما ينبغي لحاكم أن يكون هذا مسلكه، فإما العفو والصفح الجميل، وإما عدم منح الأمان، والقيام بنقضه.

ويبدو أن كثير من المحيطين بالحاكم لم يتعظوا من التصفيات التي يقدم عليها الحاكم كل يوم، فها هو القائد ابن البازيار[٤] وكان إذا ركب إلى قصر

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٤٧.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٤٧.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٤٧.

(٤) القائد ابن البازيار: من قادة الدولة الفاطمية، ظل على حاله في الركوب إلى القصر إلى أن تنكب له الحاكم وقتله. المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٥١.

الخليفة دخل بدايته من باب البحر(١). فتكون رجله على عنق دابته، ويكون الحاكم في المنظرة الواقعة على ذلك الباب فتصير رجل ابن البازيار إلى وجه الحاكم، ويبدو أن هذا الأمر أغضب الحاكم، فحقدها عليه وقتله بها، وعد ذلك ذنبا عليه، وذلك رغم ورود ما يفيد أن ابن البازيار لم يكن يفعل ذلك على سبيل الكبر والعظمة، وإنما كان مرده إلى إصابته بداء النقرس(٢) فيكون رفع قدمه لتلافى آلام ذلك المرض(٣).

وممن ورد تصفيتهم لا على سبيل التنكيل، بل على سبيل اللعب واللهو، جماعة من الأحداث كان قد أمر الحاكم أن يتقافزوا من موضع مرتفع بالقصر إلى موضع به ماء، على أن يدفع لمن ينجح في ذلك صلة، فحضر جماعة، وتنافسوا في القفز، فمات منهم نحو ثلاثين إنسان بسبب سقوطهم بعيدا عن الماء على صخور(٤).

وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على مدى استخفاف الحاكم بأرواح هؤلاء الغلمان فما لهذا الأمر من مغزى مهما كان ما يجلبه من التسرى

---

(١) باب البحر من أبواب القصر الغربية، سمى بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه إذا أراد التوجه إلى شاطئ المقس للنزهة، وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضي بشارع بين القصرين، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٥١.

(٢) مرض مؤلم يحدث في مفاصل القدم، وفى إبهامها، وهو ما كان يسمى بداء الملوك. المعجم الوجيز، ص ٦٣٠.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٥١.

(٤) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص٥٥.

والمرح، خاصة وقد أودى بجملة عظيمة من الأرواح، خاصة وأن المتسبب في تصفيتها ولى الأمر، المناط به حفظ الأرواح، وضمان سلامتها.

أقدم الحاكم على قتل القاضي حسين بن النعمان[١]، ومن أسباب تصفيته:

- إفراطه في العقوبة: ومما ورد عن ذلك أن رجلا ذل لسانه بشئ خاطب به القاضي فأغضبه، فأمر والى الشرطة أن يضربه ألف وثمانمائة درة[٢] بحضرة صاحب القاضي، ثم طيف به، فمات ليومه[٣].
- امتداد يده إلى أموال بعض اليتامى: كان الحسين قد استولى على أموال أحد اليتامى فرفع ذلك اليتيم الأمر إلى الحاكم، فأمر بالتفتيش عن مال اليتيم، فوجد أكثره باق لدى القاضي، فعد عليه الحاكم ذنوبه، وما أجزل له من العطاء حتى لا يتعرض لأموال الرعية، ثم أمر بحبسه، ثم أخرج على حمار نهارا، وساروا به إلى المنظرة[٤] فضربت عنقه، وأحرقت جثته[٥].

---

(١) ولد سنة ٣٥٣هـ بالمهدية، قدم مع أبيه إلى القاهرة، استخلفه عمه محمد بن النعمان بالجامع، فلما توفى محمد استدعاه برجوان بأمر الحاكم بأمر الله فولاه القضاء سنة ٣٨٩هـ، ثم صرفه الحاكم سنة ٣٩٤هـ، ثم ضربت عنقه سنة ٣٩٥هـ، وأحرقت جثته عند باب الفتوح، وكانت ولايته القضاء سنتين. القلقشندى: صبح الأعشى، حـ ١٠، علق عليه محمد حسين شمس الدين، ط. الأولى، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣٩٢، ابن حجر: رفع الإصر، ص ١٤٢.

(٢) الدرة السوط يضرب به، ومنها درة عمر بن الخطاب، المعجم الوجيز، ص ٢٢٥.

(٣) ابن حجر: رفع الإصر، ص ١٤٣.

(٤) المنظرة: كان للفاطميين مناظرة كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة وبركة الحبش وظاهر القاهرة، وهى لغرض التنزه، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ٢، ص ٣٤٥.

(٥) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٥٩، ابن حجر: رفع الإصر، ص ٤٦٥، ص ٤٦٦.

وإذا كان الحاكم قد أخذ هذا القاضي بالإفراط في العقوبة، فما باله لا يرى ذلك من نفسه، وإذا كان هو شخصيا من أول الشخصيات التي تفرط في العقوبات، فما الذى ينتظره من بعض عماله، أما عن موضوع مال اليتيم فهو من أحسن حسنات الحاكم، إذ لم يرد فيما طالعناه ما يدل على امتداد يد الحاكم لأموال بعض رعاياه أو أعيان دولته، بل نراه كثير بذل المال، وأشد ما يكون في إيصال الحقوق إلى أصحابها.

وكذلك تمت تصفية سهل بن كلس[١] وذلك بسبب شرهه لجمع الأموال، وعندما سيق ليقتل سأل أن يدفع وقتها ثلاثمائة ألف دينار يفدى بها نفسه، فلم يجب لشئ[٢].

ويبدو أن سهل هذا قد جمع أموالا من غير وجوهها إرضاء لشرهه، وليس أدل على ذلك من تعريضه بهذا المبلغ العظيم فداء لنفسه فمن أين له به، فهو مستحق لعقوبة التصفية، فضلا عن وضوح يقظة الحاكم لكثير من شخصيات المحيطين به.

وفى سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٥م كان خروج أبو ركوة[٣] وانضم إليه بنو قرة غضبا لتنكيل الحاكم بهم، وقتله وحرقه لهم، فخلعوا طاعته وانضموا إلى ابى

---

(١) سهل بن يوسف بن كلس أخو يعقوب بن كلس، والذى سار سيرة سيئة، وجمع أموالا من غير وجوهها ففتك به الحاكم، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٥١.

(٢) القريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٥١.

(٣) الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموى، كنى أبو ركوة لركوة كان يحملها في أسفاره على طريقة الصوفية، دعا الناس لمبايعته بالخلافة، وتعاظم أمره على الحاكم، حتى عزم على الخروج إلى الشام، إلا أنه عاد، وكانت بينه وبين الحاكم حروب حتى قضى عيه وقتله، الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٢٦٤، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٤، ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٥،ص ٥٣، ابن الأثير:الكامل، م٨، ص ٤٢، ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨٣، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٨٠، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٦٠.

ركوة عندما دعا لنفسه، وكان بينه وبين جند الحاكم وقائع قتل فيها كثير من الطرفين، وكانت رؤوس قتلى قوات أبو ركوة تحمل إلى القاهرة، ويطاف بها(١)، وهذه التصفيات تجرى عادة في المعارك، وفى أعقابها وما يجرى مجرى ذلك من تشهير وتمثيل، وربما كان الغرض من ذلك هو إشاعة نوع من الطمأنينة في نفوس سكان مصر والقاهرة، وكان قد بلغ الخوف منهم كل مبلغ بسبب تقدم قوات أبو ركوة، وإحرازه الانتصارات على قوات الدولة الفاطمية، وبنفس المنطق منع الحاكم حمل قتلى جنده في المعارك إلى مصر بسبب الجزع والضجيج، وأمر بدفنهم في الجيزة(٢)، لاسيما وقد كانت أعداد القتلى عظيمة، مما يدل على ضعف قوات الحاكم.

ومن التصفيات التي وقعت في ظل تلك الأحداث افتقاد كثير من الجنود، حتى لم يوقف لهم على خبر(٣) وهذه تعد تصفية بمحو أثر أولئك الجنود من ساحة الأحداث، ولا ندرى أكان ذلك هروبا أم اختلاطا مع باقى القتلى والتي أوردت المصادر أنها كانت لا تحصى لكثرتها(٤).

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٦٣.

(٢) كانت في عهد الفراعنة والبطالمة ثلاثة أقسام منفصلة، أوسيم ومنف وأطفيح، وبقى هذا التقسيم أيام العرب، وفى عهد الفاطميين جُعلت أوسيم ومنف قسما واحدا باسم الجيزة، مع بقاء أطفيح قسم قائم بذاته، وكان يقال لها الأعمال الجيرية، محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، حـ٣، ص ٦.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٦٣، ص ٦٤.

(٤) الأنطاكى: تايرخ الأنطاكى، ص ٢٦٤، ص ٢٦٥، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٤، ص ٦٥، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٤٥، ص ٤٨، ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٦٤.

والأرجح عندى والأقرب للصواب، أن هؤلاء الأفراد قتلوا في المعارك الدائرة بين الطرفين، ولم يتوصل إلى معرفة شخوصهم بسبب حز الرؤوس، وهو ما يؤدى إلى اختلاط الأمور، وعدم إمكان معرفة حقيقة هؤلاء القتلى، وإلى أي طرف ينتمون، فلم يتم التعرف عليهم.

انتهى الأمر بوقوع أبو ركوة في قبضة الفضل بن صالح[١] وعند وصوله أمر الحاكم بتشهيره[٢] فحُمل على جمل، وعليه ثوب، وفوق رأسه طرطور[٣] طويل، ومعه رجل يمسكه، ويديه خلف ظهره، ولما وصل إلى القصر أوقف ساعة على بابه، وهو يشير بإصبعه يطلب العفو، والصفع في قفاه، ويقال له قبل الأرض فيقبلها، ثم سير به إلى مسجد تبر[٤] ولما خرج من باب القاهرة انهال عليه الناس رجما بالحجارة، والصفع ونتف اللحية، حتى عاين من ذلك

(١) أبو الفتوح الفضل بن عبد الله بن صالح من الأمراء الذين كانوا يسيرون في ركاب العزيز بالله، ثم سار من كبار الأمراء في عهد الحاكم، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٦٣.

(٢) شهرة أي أعلنه وأذاعه، شهّر به أذاع عنه السوء. المعجم الوجيز، ص ٣٥٣.

(٣) طرطور: القلنسوة الطويلة دقيقة الرأس. المعجم الوجيز، ص ٣٨٩.

(٤) مسجد تبر. خارج القاهرة عرف قديما بالتبر، وتسميه العامة مسجد التبن، بالقرب من المطرية، بنى على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، أنفذها المنصور يطاف بها في مصر لما ظفر به، فسرقه أهل مصر، ودفنوه هناك سنة ١٤٥هـ، وتبر هذا هو تبر الإخشيدى أحد مقدمى الجنود في عصر كافور، ثار على الفاطميين فحبسوه وسجنوه فجرح نفسه ومات، فسلخوه وحشوه تبنا وصلبوه، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ٢٧١.

الموت مرارا، ولما بلغ مسجد تبر ضربت عنقه وصُلب جسده، وحملت رأسه إلى الحاكم[١].

ولم يكن يتوقع تصفيته بغير هذه الطريقة لما جره على كيان الدولة الفاطمية من تهديد واضطرابات، فضلا عن الخسائر المالية والبشرية التي منى بها جيش الحاكم بأمر الله.

تمت تصفية رجل من العامة في ذكرى يوم عاشوراء[٢] كان قد خرج مع المنشدين والناحة[٣] إلى جامع القاهرة، وتظاهروا بسب السلف الصالح، فقُبض على ذلك الرجل، ونودى عليه: هذا جزاء من سب عائشة وزوجها ثم ضربت عنقه[٤].

وتعد هذه التصفية من التصفيات التي تأثرت بأهواء الحاكم، حيث كان قد أمر في بداية فترة خلافة بسبب السلف الصالح، وكتابة ذلك على المساجد والدور والمقابر، وجاءت هذه التصفية في فترة تغيرت فيها أهواء الحاكم، وعليه فقد غير أوامره بهذا الخصوص، وربما كان هذا الرجل ضحية تغير

---

(١) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى ص ٣٦٧، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٥، ص ٦٦، ابن حماد: إخبار ملوك بنى عبيد، ص ١٠٤، ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ٤٦، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٨٣.

(٢) هو اليوم العاشر من شهر محرم ذكرى استشهاد الحسين بن على (رضى الله عنهما) وكان هذا الاحتفال الحزين يقام في العراق أيضا على أيام بنى بويه. المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٦٧.

(٣) جمع نائحة، وهو البكاء على الميت بجزع وعويل، المعجم الوجيز، ص ٦٣٨.

(٤) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٦٧.

أهواء الحاكم، بين أمر بالسب ونهى عنه، والمبالغة في عقوبة القائم بالسبب.

أصدر الحاكم أوامره بمنع الناس من الخروج من دورهم قبل صلاة الصبح، وبعد صلاة العشاء، وشدد في تنفيذ ذلك الأمر، حتى أنه اعتقل جماعة ممن خالفوا ذلك الأمر(١)، وربما تعمد الحاكم بهذه التصفية حمل الناس على عدم التجمع قبل أو بعد الصلاة متعللين بإقامة الشعائر، حتى لا يتحدثوا في أحوال السلطان فتكثر القالة، وتثار الفتن، على أن يكون الاجتماع للصلاة على وقتها مباشرة، والانصراف عنها فور الانتهاء دون الاجتماع.

وفى تلك الآونة قتل الحاكم كثير من الخدام والكتاب بعد أن قطعت أيديهم بالساطور(٢) على خشبة من وسط الزراع(٣) ولم يرد سبب لتلك التصفيات، وربما كانت هذه نوبة من نوبات سوء مزاج الحاكم، فوقعت التصفيات على كتابه وخدمه.

وكذا قتل الحاكم قائده الفضل بن صالح، وكان قد بالغ في إكرامه، وإقطاعه، خاصة بعد الانتصارات التي أحرزها ضد ابى ركوة، وكانت قد عرضت علة للفضل، فعاده الحاكم مرتين، فاستعظم الناس فعل الحاكم وتحدثوا به حتى وصل ذلك الكلام إلى مسامعه، فلما عُوفى الفضل عَمِل عليه وقتله وضرب رقبته(٤).

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٧٧.

(٢) الساطور: سكين عريض ثقيل ذو حد واحد يكسر به العظم، المعجم الوجيز، ص٣١٠.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٧٩، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ٤، ص ٧١.

(٤) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٦، ابن الأثير: الكامل، ص ٤٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا، ص ٧٩، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ٤، ص ٧١.

ولم يجن الفضل بن صالح بن صالح ذنبا يوجب تصفيته بهذه الطريقة، خاصة وانه صاحب فضل في رد خطر أبو ركوة عن ملك الحاكم، إلا أن الحاكم تأثر بقالة الناس، وما قد ينتج عنها من تعاظم أمر الفضل، فلم يمهله حتى يرى تأثير ذلك عليه، فعاجله وتخلص منه، ولعل في الخلاص من قادة الدولة أكبر الأثر في قلة الكفاءات لمهمات الأمور.

أمر الحاكم بقتل جماعة ممن اجتمعوا بدار العلم[١] بعد أمره بإغلاقها، وكانوا ثلاثة نفر، فظفر باثنين منهم فضربت أعناقهم، إلا أن الثالث استتر قبل أن تصل إليه يد الحاكم[٢]، فتمت تصفية اثنين منهم تصفية جسدية، وصفى الثالث بالاستتار، وتحديد الإقامة، خوفا من القتل، ولعل ذلك من قبيل المبالغة في العقوبة، وعدم مناظرتها لحجم الجرم الذى يراه الحاكم.

وكذا أمر بقتل رجل لأنه صلى صلاة التراويح في رمضان[٣] وكان الحاكم قد نهى عن أداء صلاة التراويح، وأمر بمعاقبة من يصليها، ويبدو أن ذلك الرجل لم يخرج عن أحد أمرين أحدهما أن يكون قام بتلك السنة مجازفة دون

---

(١) دار العلم: كانت بجوار القصر الغربى من بحرية، وصار مكانها يعرف بدار الخضيرى بدرب الخضيرى، المقابلة للجامع الأقمر، اتخذها الحاكم بأمر الله، وكان افتتاحها سنة ٣٩٥هـ، وكان فيها ما يحتاج إليه من خبر وورق، وكان طوائف العلماء يجتمعون بها، ويأتون لمناظرة الحاكم، وكان الحاكم قد وقف عليها وقفا، ثم أبطلها الأفضل من بدر الجمالى. المقريزى: المواعظ والاعتبار،م١، حـ ٢، ص ٣٣٤، ص ٣٣٥.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٨٨٠.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٨٠.

النظر للعواقب، وثانيهما أنه لم يحتاظ لنفسه في الاستتار عن أعين رجال الحاكم، فوشى به.

قتل الحاكم أصحاب الأخبار عن آخرهم لكثرة ما نال الناس من أذيتهم، والافتراء عليهم بالكذب، وأخذهم أموال الناس(١)، والحقيقة أن الحاكم هو من أعطى لأصحاب الأخبار تلك الصلاحيات التي أدت إلى وقوع الأذى على الناس، فهو من أمرهم بنقل أخبار البيوت، ودسهم على رعيته ليقف على شئونهم الخاصة ويؤاخذهم بها، لاسيما ما يتعلق بالنساء، ولا أستطيع أن أعلق على تلك التصفيات من جهة الحاكم بأنها رغبة منه لرفع الظلم عن الرعية، لأنه هو من أوقع الظلم عليهم.

ثم أصدر الحاكم أمرا بقتل عدة كثيرة من الخدام والفراشين والكتاب وغيرهم(٢)، ولم يرد ما يوضح سبب تلك التصفيات.

أقدم الحاكم بأمر الله على تصفية الروذبادرى، وكان قد عول عليه فيما كان مسندا لحسين بن جوهر عندما تنكر له، ولقبه بثقة الثقات، فنظر في الأمور، ودبر الأعمال، وحفظ الأموال، وانتظم في عمله مدة سنتين، ثم تغير عليه وقتله(٣)، وهكذا لم يكد ينبه أحد أرباب الدولة في أمر أسند إليه حتى يصفيه حقدا بغير سبب.

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٨٠.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٨٣.

(٣) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٧٧، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٨٣، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ٧١.

كذلك قتل متولى[١] الشرطتين والحسبة[٢] ولا أدرى أذلك لتقصير في عمله أم بدون سبب.

وفى سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م كانت نكبة بنى المغربى[٣] وكان بينهم وبين ابن عبدون[٤] عداوة قديمة، وكان أبو القاسم بن المغربى قد صرف عن عمله في بعض الدواوين بابن عبدون، ولما صرف به عمل على السعاية عليه، وعلى الكتاب النصارى بنى جلدته، إلى أن قبض الحاكم على جماعة من أولئك الكتاب، وأمر أن يضرب كل واحد منهم خمسمائة سوط، فإن مات رمى به إلى الكلاب، وإن عاش أعيد ضربه إلى أن يموت، وقد حاول جماعة من هؤلاء الكتاب أن يفدوا أنفسهم ببعض المال فلم يقبل منهم[٥]. وهذه التصفية تحتوى على قدر من الوحشية، وعدم احترام آدمية هؤلاء الضحايا.

---

(١) غالب بن هلال ولاه الحاكم الشرطتين العليا والسفلى مضافا إليهما الحسبة، ثم فتك به، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٨٣.

(٢) أبو القاسم الحسين بن على المغربى وأخواته ووالده أبى الحسين إحدى القبائل المغربية، التي عملت بدواوين الدولة الفاطمية، ونكبها الحاكم بفعل الوشاية، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦١.

(٣) منصور بن عبدون، كان رجلا نصرانيا خبيثا جلدا، تقلد تدبير الأمور في عهد الحاكم بعد تصفية الروزبارى، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦١.

(٤) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٢٧٧، ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص ٦١، ص ٦٢، سلام شافعى: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمى، ص ٣٥، ص ٣٦.

(٥) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٢، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٤٨، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٨٥.

ولم تزل الوقيعة والشحنا والسعاية بين بنو المغربى، وابن عبدون إلى ان نجح ابن عبدون في إفساد رأى الحاكم فيهم، فأمر بإحضار على ومحمد ابنى المغربى، وضرب أعناقهما، ثم أمر بإحضار أبو القاسم الحسين على المغربى وأخويه لقتلهم، فقتل الأخوين، واستتر أبو القاسم وهرب مع بعض العرب(١).

وهكذا تؤدى المنافسة على المناصب على قتل أفراد عدة من بيت واحد، وهروب آخر، وكلها تصفيات أدت إلى تشتيت شمل ذلك البيت، وإذا كان هذا هو دأب أعيان الدولة، إفساد رأى الحاكم في بعضهم البعض، فمن الطبيعي أن تختلط عليه الأمور، ومن هنا أستطيع أن أقول إن في ذلك ما يعذر به الحاكم.

وكذلك أقدم على تصفية ابن القشورى(٢) وكان لا يزال على رسمه في تدبير الأمور، ومدة نظره عشرة أيام، فأمر بالقبض عليه، وهو يؤدى عمله، وضربت رقبته، وكان قد بلغ الحاكم عن أنه يبالغ في تعظيم حسين بن جوهر(٣)، وهذه التصفية أيضا جاءت من باب السعاية، يدل عليها مقولة (بلغ الحاكم عنه) وما كان ينبغي عليه أن يقضى على الناس بالظنة والسعاية خاصة وأنه هو أمر أن يخاطب الحسين بن جوهر ويكاتب بقائد القواد، وهو ما يعنى

---

(١) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٢، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٤٨، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٨٥.

(٢) أحمد بن محمد القشورى الكاتب، أسند إليه الحاكم تدبير أمور الدولة بعد صرف ابن عبدون النصرانى، وباشر عشرة أيام، ثم ضربت عنقه، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٨٤.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٨٨، ص ١٨٩، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٨٥، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ٧١.

وجوب ذلك على كل أرباب الدولة، وإذا كان هذا هو توجه الخليفة نحو حسين بن جوهر، فلم يلقى باللائمة على ابن القشورى في احترامه.

تطورت أمور ابن عبدون إلى صرفه عن الوساطة، وذلك لما تكررت كتب الحاكم إلى حسين بن جوهر وصهره عبد العزيز بن النعمان(١)، بالأمان والسماح بالعودة إلى ديارهم، فأبى حسين بن جوهر أن يعود، وابن عبدون واسطة وقال: أنا أحسنت إليه أيام نظرى فسعى فىّ إلى أمير المؤمنين، ونال منى كل منال، لا أعود ابدا وهو وزير، فصرفه الحاكم لذلك، ثم كتب له أمان بيده يقول عنه (ما خدمنى أحد ولا بلغ في خدمتى ما بلغه ابن عبدون ولقد جمع لى من الأموال ما هو خارج عن أموال الدواوين ثلثمائة ألف دينار)(٢).

أصدر الحاكم أمرا باعتقاله، وأمر بعمل حسابه ثم ضربت عنقه، وقبض ماله(٣)، ويبدو أن الحاكم أعاد النظر في متحصلات الأموال التي يوردها ابن عبدون له، وقام بحساب أمواله، فإذا كان يجلب للخليفة ثلاثمائة ألف دينار زيادة على أموال الدولة، فمن المحتمل أنه جمع الأموال من غير وجوهها، وأجحف بالرعية، كما يرجح أنه حصل لنفسه قدرا من تلك الأموال، التي جمعها بغير وجه حق، وهو ما غير الحاكم عليه، خاصة إذا عرفنا أن الحاكم

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن النعمان، ابن عم الحسين بن على، ولد سنة ٣٥٥هـ، ولى القضاء في رمضان سنة ٣٩٤هـ، وقتل في رجب ٣٩٨هـ، ابن حجر العسقلانى: رفع الإصر، ص ٢٤٦.

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٤، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٨٤.

(٣) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٢٧٧، ص٢٨٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٨٥، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ٧٢، سلام شافعى: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمى، ص ٦٥، ص ٦٦.

لم يكن ينكب أحدا لأجل المال، أو الطمع في أملاكه، وهذا يؤكد أنه إنما قبض ماله ليرده على أربابه أو يدخله إلى خزانة الدولة.

وقبض على جماعة من الباعة بسبب بيع النبيذ، وأمر الحاكم باعتقالهم(١)، وقد استحقوا التصفية بالاعتقال لإقدامهم على المتاجرة بالنبيذ التي كان الحاكم قد أصدر أوامره بتحريم صنعها أو بيعها.

وفى جمادى الآخرة سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م كان قد وصل إلى قصر الخلافة حسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان وكان معهما أبى على بن صالح أخى القائد الفضل بن صالح، وقد قيل لثلاثتهم أطيعوا لأمر تريده الحضرة منكم، فدخلوا وجلسوا حتى انصرف الناس، فقُبض عليهم وقتلوا في وقت واحد(٢)

وكان قائد القواد وصهره ابن النعمان قد فرا مرارا وتكرارا خوفا من نقمة الحاكم، وسوء العاقبة، كما أمرا بملازمة داريهما، وسائر أولادهما، فصفيا مع أهليهما بتحديد الإقامة(٣)، ثم قُبض على عبد العزيز بن النعمان، وفر قائد القواد مع أبنائه، فأفرج عن عبد العزيز، وعاد قائد القواد، وسارا إلى الحاكم فكتب لهما أمان وخلع عليهما(٤).

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٨٦.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٨٧.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٧٣.

(٤) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٧٧.

كانت كتب الحاكم قد تكررت إلى حسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان، بطلب عودهما ومنحهما الأمان، بعد تكرار فرارهما، كما تم تحليفها الا يغيبان عن الحضرة ومنحا أمانا، إلا أن كل كتب الأمان لم تمنع من تصفيتهما وضرب أعناقهما(١).

وسبب تصفية الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان تعود إلى سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م حيث ذهب القاضي عبد العزيز بن النعمان لزيارة قائد القواد في داره، في يوم أحد من أيام صيام النصارى، وعنده قوم فدخل الخادم وقال أبو يعقوب بن نساطس الطبيب(٢) يستأذن في الدخول، فأذن له ودخل، ثم تناولوا الطعام سويا، ثم رفعت المائدة، وقدم الشراب والفاكهة، فأقبلوا على الشرب إلى أن سكروا، ثم قام القاضي وانصرف، واستمر جلوس الباقين، أما أبو يعقوب الطبيب فقد ظل بالطارمة(٣)، وهى تطل على نهر، وظل يشرب

(١) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٢٨٧، ٢٨٨، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٨٩، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٢٧٨، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٨٥، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٣، ص ٢٠: ص ٢٤ ـ، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية تفسير جديد، ص ١٠٦.

(٢) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس النصرانى، طبيب الحاكم، كان طبيب وقته، عارفا بالطب، آية في الحفظ، كانت له يد في الموسيقى، انفرد بخدمة الحاكم، فأثرى ومات سكران في بركة ماء، فحُمل في تابوت وشق البلد، ثم أعيد إلى داره فدفن بها، الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص٢٦٩.

(٣) الطارمة: بيت من خشب وهو معرب، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ ٢، ص ٣١١.

ويطرب إلى أن غلب عليه السكر، فخرج طالبا لدابته، فقدمت له دابة أخرى، فامتنع عن ركوبها، فسأله الخادم أن يعود إلى مكانه حتى يحضر بغلته، فعاد ونام إلى جوار النيام، وعاد الخادم يتفقده فلم يره، ولمح طرف ثوبه في الماء، فاستدعى فراشا يعرف السباحة، فنزل في النهر فوجد قد التف ثيابه على وجهه فغطس في الماء، وأعلم الخادم قائد القواد، فاستدعى القاضي وشق عليهما الأمر، لما عرفوا مكانته لدى الحاكم، ولما علم الحاكم بالأمر شق عليه، وأظهر الأسف، واستدعاهم، فحلفوا له، وأكثروا الأيمان أنهم ليس لهم شأن بما جرى، فأمر بدفنه(١).

ويبدو أن الحاكم شك في ضلوعهما في أمر أبى يعقوب، ولم يصدق أيمان من حضر لدى قائد القواد في ذلك اليوم، فأخذ في مطاردتهما حينا، وتأمينهما حينا، حتى يأنسا ولا يهربا، ثم فتك بهما، وهكذا يفتح الحاكم عهدا من سفك دماء القضاة، لينضموا إلى من نالهم تصفياته، كما اثار حالة من الهلع لكل العلماء، والمرشحين لتولى منصب القضاء خاصة.

عزل عبد العزيز بن النعمان عن القضاء(٢) وظل يترقب هو والقائد حسين بن جوهر، فحضرا مرارا، وأعفى عنهما، ثم فرا وعادا، إلى أن قتلهما جماعة من الأتراك(٣).

---

(١) ابن حجر العسقلانى: رفع الإصر، ص ٢٤٨.

(٢) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٢٨٤.

(٣) ابن حجر: رفع الإصر، ص ٢٤٩، ص ٢٥٠.

وفى نفس العام ٤٠١هـ / ١٠١٠م قتل كثير من الكتاب والخدام والعامة والرؤساء والنساء[١]، كما قبض بعد ذلك على جماعة بسبب لعب الشطرنج[٢] حيث ضربوا وحبسوا[٣].

وكان الحاكم قد اتبع سياسة التصفية بالإبعاد تجاه اليهود والنصارى، حيث أذن في سيرهم إلى حيث شاءوا من بلاد الروم، وذلك بداية من عام ٤٠٤هـ / ١٠١٣م[٤]، وقد كانت هذه التصفية تكملة لسياسة الحاكم، والإجراءات التي اتخذها ضد النصارى بداية من عام ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م[٥].

ويمكن أن نبرر مسلك الحاكم نحو النصارى، والتشدد معهم حينا، والتصفية حينا آخر، بأنها أخذت شكلا إصلاحيا في بعض الأحيان، وانعكاسا للرأي العام الإسلامي في أحيان أخرى، حيث سادت حالة من التذمر ضد أهل الذمة عامة، والنصارى بصفة خاصة، بسبب المكانة الرفيعة التي حازوها في ظل الدولة الفاطمية، فضلا عن أعمال الابتزاز والمحاباة والتعسف التي كانوا يعانونها من موظفي المالية من النصارى.

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٨٨.

(٢) لعبة تمثل جيشين متحاربين يتألف كل منهما من ست عشرة قطعة، تمثل الملك والوزير والخيالة والقلاع والفيلة والجنود، وتلعب على رقعة مرسوم عليها أربعة وستون مربعا، المعجم الوجيز، ص ٣٤٣.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٩٤.

(٤) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٠٥، ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٥، ص ٦١، ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ١٢٩، سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٢٧٦، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٨، ص ٢٠٠، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٠، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ٧٣، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٠٢.

(٥) أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٠٢، ص ١٠٣.

ولم تكن التصفية بالإبعاد إلى بلاد الروم قرينة العنف والقهر، أو ما إلى ذلك، حيث أن الحاكم قد أذن لهم بسجل قرئ بالتوجه إلى بلاد الروم بأهلهم وأموالهم، حسب اختيارهم، آمنين مطمئنين من غير إكراه لأحد على المسير، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال(١).

وقد شهد عام ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م تصفيات بحبس النساء بعد ضربهن، بسبب الخروج من البيوت، كما حبس عدة عجائز خرجن إلى الطرقات(٢)، وهذا يعطى انطباع الجدية على أوامر الحاكم، والصرامة في تنفيذها، حتى لو كانت النساء عجائز، فلم يمنعه ذلك من تنفيذ العقوبة عليهن، خاصة وأنه نوه بعدم خروج النساء، وأن من تخالف الأوامر ستنال عقابها.

ومن نافلة القول أن أورد تصفية مهمة تحمل دلالة لبعض أوامر الحاكم، خاصة فيما يتعلق بحبس النساء، وعدم خروجهن، كان العامة قد استغلوا لين القاضي مالك بن سعيد الفارقى(٣)، وذلك عندما منع الحاكم خروج النساء من

(١) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٠٥.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٥، ص ١٠٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٣، ص ١٠٤. السيوطى: الحافظ حلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، حـ ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ٦٠٣.

(٣) مالك بن سعيد بن مالك الفارقى، يكنى أبا الحسن، استقر في القضاء من قبل الحاكم بعد عزل عيدد العزيز بن النعمان في رجب سنة ٣٩٨هـ، وضربت عنقه في ربيع الآخر ٤٠٥هـ، فكانت ولايته ست سنين وتسعة أشهر، الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٢٨٤، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٦، ابن حجر: رفع الإصر، ص ٣١٦، السيوطى: حسن المحاضرة، حـ ٢، ص ١٢٧.

دورهن، ومنع الأساكفة[١] من صنع الخفاف لهن، وكان القاضي قد مر على دار بها امرأة توسلت إليه أن يسمع شكواها، فبكت بشدة قائله أن لها أخ، وأنها تريد أن تراه قبل أن يموت، فأمر بعض رجاله أن يمضى معها إلى دار أخيها، فانطلقت معه إلى دار دخلتها، واستمرت مقيمة فيها، فانكشف أمرها عندما عاد زوجها، وقص عليه الجيران الخبر، فانطلق إلى القاضي وأقسم أن لا أخ لها، فانكشف أمرها وأن ذلك الرجل هو رجل تهواه ويهواها، فأسقط في أيدى القاضي، وانطلق إلى الحاكم، فأمر بالقبض عليهما، فحملا إلى الحاكم، وأحرقت المرأة، وضرب الرجل بالسياط[٢] ولعل في هذه الحادثة ما يفسر زيادة تشدد الحكام في القرارات المتعلقة بالنساء، منعا لتفشى الفاحشة.

لذا نرى الحاكم قد رتب عجائز يدخلن البيوت، ويسترقن السمع على النساء، وأن فلانة تحب فلان، وفلان يحب فلانة، ويجتمعان في وقت كذا، فلم يكن يخفى عليه من أمر النساء شيء[٣].

كان إذا بلغه شيء عن امرأة في دار بعث بعض الخدم فقبض على المرأة التي فيها، فإذا اجتمع عنده جماعة من النساء أمر بتغريقهن في النيل، فافتضح

---

(١) الأساكفة: صناع الأحذية ومصلحوها، المعجم الوجيز، ص ٣١٦.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٥، ص ١٠٣، ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ١٢٩، سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٢٩٤، ابن حجر: رفع الإصر، ص ٣٢٠.

(٣) الفارقى: أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق الفارقى (ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م)، تاريخ الفارقى، تحقيق وتقديم بدوى عبد اللطيف عوض، راجعه محمد شفيق غربال، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م، ص ٧١، ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٥، ص ١٠١، سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٢٩٣.

النساء، ونادى مناديه أنه متى خرجت المرأة من بيتها ليلا أو نهارا أبيح دمها، وقد رأى بعض النساء العجائز، فأمر بتغريقهن، وكانت المرأة إذا ماتت بعث نساء يتعرفن عليها ثم تغسل وتدفن(١).

وفى ربيع الآخر سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٣م أمر الحاكم بقطع يدى أبى القاسم الجرجرائى(٢) وهذه تصفية من نوع جديد، قام بها الحاكم، وحتى نقف على حقيقتها فلابد أن نعرف سببها، وقد ورد في حقيقة تلك التصفية روايتين، الأولى: أن الجرجرائى كان في خدمة سيدة الملك أخت الحاكم، وانفصل عنها وهى غير راضية عنه، وانخرط في خدمة غين(٣) فبعث الجرجرائى إليها رقعة تحتوى على استعطافها، فارتابت في أمره، ودفعت الرقعة للحاكم، فأمر بقطع يديه، وتلك رواية، والرواية الثانية: أن الظلامات كانت ترفع لغين قبل عرضها على الحاكم، فدفعها إلى الجرجرائى لحملها إلى الحاكم، فوجد في إحداها طعن على غين، وذكره بسوء، فطع ذلك الموضع من الرقعة وأصلحه، فوشى به أحد الخدام للحاكم، فأمر بقطع يديه(٤).

---

(١) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص٢٩٣.

(٢) أحمد بن على الجرجرائى، من أهل جرجرايا، إحدى قرى سواد العراق، ورد إلى مصر مع أخيه، وتقدمت به الخدم حتى كتب لقائد القواد غين، وكثرت فيه الشكايات، وساء ظن الحاكم فيه فقطع يديه، ثم أمر بزيادة عطائه، وولى الوزارة سنة ٤١٨ه للظاهر، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٨، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٠.

(٣) بدأ في الظهور بعد مقتل قائد القواد الحسين بن جوهر سنة ٤٠١هـ، فقلده الحاكم الشرطتين والحسبة، والنظر في جميع الأمور سنة ٤٠٢هـ، وإليه ينسب جامع غين بالجيزة. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٨.

(٤) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٨، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠١، ص١٠٢، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ٧٣.

ويبدو أن الحاكم أراد أن يضع له عقوبة تتناسب مع جرمه، وبما أن جرمه يتعلق ببعض المكاتبات سواء إلى أخت الخليفة، أو تعديل بعض الظلامات، فأمر بقطع يده التي استخدمها في تلك الأمور، وهذه عقوبة غاية في القسوة.

لم تكن هذه التصفية هي الأولى والأخيرة من نوعها، فقد أقدم الحاكم على قطع يد غين بعد قطع يد الجرجرائى بخمسة عشر يوما، وكانت تلك يده الثانية، فقد قطع الأخرى قبل ذلك بثلاث سنين، وسار مقطوع اليدين، ثم أمر الأطباء بمداواته، وفى نفس الشهر أمر بقطع لسان غين، ومات بعد ذلك(١).

ويبدو لى أن التصفية الجسدية بإنهاء الحياة أكثر رحمة من قطع أعضاء الإنسان عضوا عضوا، خاصة وأن هذه الأعضاء هي المؤهل الرئيسى لقضاء حاجيات الإنسان، وبزوالها يفقد أهلية الحركة والعمل، وإن دلت على شيء فإنما تدل على غاية القسوة.

استهل الحاكم سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م بالركوب فرفعت إليه المسائل والمظالم فأمر برافعيها فحبسوا(٢)، وهو ما يعنى تذمره من التظلم وإبداء الرأي، فكانت التصفية بالحبس جزاء من يقدم على شيء من ذلك.

وفى ربيع الآخر من نفس العام ٤٠٥هـ / ١٠١٤م تمت تصفية قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى، حيث أمر الحاكم أن يأخذه بعض الخدام، ويسير به إلى القصور، ويقتله، ففعل به ذلك، ثم تُرك مطروحا على الأرض، فأمر الحاكم بمواراته، فدفن بثيابه وخفية(٣).

---

(١) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٨، ص ٦٩، الداوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٢٥٩، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٢.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٥.

(٣) ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٦١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٦، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ٧٣.

وسبب تصفية مالك بن سعيد هو دس بعض شهوده إلى الحاكم أنه يركب إلى قصر سيدة الملك أخت الحاكم، ويخلو بها، فحقد الحاكم على الفارقى، وظن صحة ما قيل فيه، والحقيقة ان الفارقى كان يدخل كل يوم إليها ليقرأ على بعض خدمها، فجاء يوما إلى الحاكم وكان عندها، فسأله الحاكم من أين جئت ؟ قال: من دارى، قال: بل من قصر إمامتك. فقال: لا أعرف إماما غيرك، واشتد خوف مالك، وارتجف قلبه(١).

ولازال السعاة يستغلون غضب الحاكم في الخلاص من منافسيهم، أو أصحاب الحظوة الذين يحقدون عليهم، ويبدو أن الحاكم كان لا يسأل، ولا يتحقق، ولا يُعمل تفكيرا في مثل تلك الاتهامات، فكان يصدر الأمر بالعقوبة، وينفذ من فوره.

وفى جمادى الآخرة أمر بتصفية الحسن بن طاهر الوزان(٢) وكان قد خرج مع الحاكم في ركوبه، فلما وصل إلى حارة كتامة(٣) أمر به فضربت رقبته

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٧، ابن حجر: رفع الإصر، ص ٣٢١.

(٢) خلع عليه للوساطة والتوقيع عن الحضرة سنة ٤٠٣هـ، وكان يتولى بيت المال قبل ذلك، ولما ولى الوساطة استناب أخاه مسعود في بيت المال، وظل على حاله إلى أن ضربت عنقه سنة ٤٠٥هـ، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٥٩، ص ٦٠.

(٣) تنسب إلى قبيلة كتامة، وهم غالبية جند الدولة الفاطمية آنذاك، وكان قدومهم مع القائد جوهر الصقلى، فاختطوا هذه الحارة عند قدومهم من المغرب، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٨.

ودفن مكانه[١]، ولم يرد شيء عما أوجب تلك التصفية غير أن الحاكم كان قد بلغه عن ابن الوزان بعض التوقف عن إطلاق بعض النفقات والصلات التي أمر بها، فأرسل إليه كتابا جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله كما هو أهله... ما عندكم ينفذ وما عند الله باق، والمال مال الله، والخلق عيال الله، ونحن أمناؤه في الأرض، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام "[٢] ثم نكبه الحاكم بتصفيته بضرب رقيته.

كما أقدم في نفس السنة على تصفية الحسين وعبد الرحمن ابنا أبى السيد[٣] وكانت مدة نظرهما منذ توليهما الوساطة سنة ٤٠٥هـ، واستمرا في الخدمة إلى شوال من نفس السنة، أي مكثا اثنين وستين يوما[٤] وأصبح كل أرباب الدولة وأعيانها مهددون بتوقيع عقوبة التصفية عليهم، وقد غلبت التصفية الجسدية على كل التصفيات، فضلا عن التمثيل بعد التصفية.

---

(١) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣١٠، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٠، ص ٦١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٨.

(٢) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٠، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص٧٣.

(٣) أبو عبد الله الحسين وعبد الرحيم ابنا أبى السيد، وكان عبد الرحيم يتولى ديوان النفقات وقد ضمنا أموال الدولة، وتوفير ثلاثمائة ألف دينار تحمل إلى بيت المال، وجعلا واسطتين في شعبان سنة ٤٠٥هـ، وقتلا في نفس العام، الأنطاكى : تاريخ الأنطاكى، ص ٣١٣، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٩.

(٤)الأنطاكى : تاريخ الأنطاكى، ص ٣٠٣، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠٩.

ثم تمت تصفية الفضل بن الفرات[١] بعد أن ولاه الوساطة بغير خلع، وجلس لمزاولة مهام وظيفته إلى ان كان اليوم الخامس لتوليه، حيث صدر الأمر بقتله[٢].

ومن الأحداث التي نتج عنها تصفيات كثيرة وجسيمة ظهور جماعة من أصحاب الفكر الضال المضل في عهد الحاكم، ففي سنة ٤٠٩هـ ظهر رجل يقال له الفرغانى[٣] يرى حلول الإله في الحاكم، ودعا إلى ذلك وتكلم فيه، وفى غير ذلك من تأويل أمور الشريعة، وكان الحاكم قد استدعاه وقربه وخلع عليه، وصاحبه في مواكبه، وفى أثناء خروجه هو واتباعه مع الحاكم في شهر رمضان من تلك السنة خرج عليه رجل وهو في الموكب، فألقاه عن فرسه،

(١) أبو العباس الفضل بن الوزير أبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات، كان من أرباب الدولة، ولى الوساطة للحاكم، ولم تطل مدته، وقتله في اليوم الخامس من جلوسه للوساطة، الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٠٣، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦١، ص٦٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١١٠.

(٢) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٠٣، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٢، الدوادارى: كنز الدرر، حـ ٦، الدرة المضية، ص ٨٤، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١١٠، المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ٧٤.

(٣) هو حسن بن حيدرة الفرغانى المعروف بالأخرم، ظهر في مصر في عهد الحاكم، ودعا إلى تأليه الحاكم فأنكر الناس عليه ذلك، وخرج عليه رجل في موكب الحاكم فانهال عليه بالضرب حتى قتله، وظهر له أتباع بمصر بعد قتله ساروا على نهجه، وكانوا جميعا مقربين من الحاكم، سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٣١٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ١١٨.

ووالى الضرب عليه حتى قتله، فأمر الحاكم بقتل ذلك الرجل في وقته[١].

وهاتان تصفيتان إحداهما واجبة ومطلوبة والثانية منكرة محرمة، فما ينبغي لمن ثار لحرمات الله غيرةً وغضبا أن يصفى بخارج عن الدين، إلا أن أهواء الحاكم تدخلت في ذلك.

كان الحاكم قد بالغ في تعظيم الفرغانى بعد قتله، فكفنه بأكفان من القصر، واهتم لأمره، أما قاتله فقد حمله أهل السنة وغسلوه وكفنوه، ووالى الناس زيارة قبره ليلا ونهارا، وبعد عشرة أيام من دفنه وجد الناس قبره منبوشا وأخذت جثته، وما ذلك إلا بعقل الحاكم الذى غضب لقتل ذلك الخارج عن الدين[٢].

ولما كانت سنة ٤١٠هـ / ١٠١٩م دخل على الحاكم رجل من دعاة الفرغانى، يقال له حمزة الزوزنى[٣] دعا أيضا لعبادة الحاكم، وأن الإله قد حل فيه، وكثر جمعه من غلاة الشيعة الإسماعيلية[٤]، ولقبوه بهادى المستجيبين، ودخل كثير في دعوته، وكان الحاكم إذا التقاه ينفرد به، فشكا إلى الحاكم بأنه

---

(١) ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥١، ص ٥٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١١٣.

(٢) ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٢.

(٣) حمزة بن على بن أحمد الزوزنى: أعجمى من زوزن يلقب باللباد، سار على نفس منهج الفرغانى وكثر أتباعه، وخلع عليهم ألفاظا خاصة، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١١٣.

(٤) هم بنو إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، وإليه تنسب الطافة الإسماعيلية، وهو الجد الأكبر لعبيد الله المهدى، الروحى: على بن أبى عبد الله بن محمد بن أبى السرور بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الروحى،بلغه الظرفاء في تاريخ الخلفاء، عماد أحمد هلال وآخرون، راجعه أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٣٣٤.

قد هُدد من قبل الجند، وأنهم سيفعلون به كما فعلوا بالفرغانى، فدفع إليه الحاكم سلاحا كثيرا يدافع به عن نفسه(١).

تزامن مع حركة الزوزنى ظهور داع آخر سلك نفس طريقه، وهو من مولدى الأتراك اسمه أنوشتكين البخارى، ويعرف بالدرزى(٢) وكثر أتباعه وعلق سلاحا كثيرا على باب داره، وكان ينفرد بالحاكم ويتحدث إليه، وأطلق على نفسه سند الهادين وحياة المستجيبين(٣).

وفى أحد الأيام اجتمع أصحاب حمزة الزوزنى على خيول وبغال، ودخلوا الجامع العتيق ركبانا مجاهرين بمذهبهم، ثم عمدوا إلى موضع جلوس القاضي للفصل بين الخصوم، وتكلموا بكلام منكر أهاج الناس، ثم رفعوا إلى القاضي كتاب معنون بـ " بسم الحاكم الرحمن الرحيم " وطلبوا اعترافهم بألوهية الحاكم، فلم يجب القاضي ابن أبى العوام(٤) بشئ، وقال حتى أدخل إلى مولانا، فتطاول في الكلام مع القاضي، فثار العوام بالرجل وقتلوه، وقتلوا بقية أصحابه

(١) ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٢.

(٢) محمد بن إسماعيل الدرزى: اتصل بالحاكم فأنعم عليه، ثم دعا الناس إلى القول بألوهية الحاكم، فأنكر عليه الناس ذلك، وانتهى الأمر بفراره من مصر بمساعدة الحاكم. ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٤، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١١٣، ص ١١٨.

(٣) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٤١، ص ٣٤٢، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١١٣، ص ١١٨.

(٤) أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن يحي بن الحارث بن أبى العوام السعدى الفقيه الحنفى، ولد سنة ٣٤٩هـ، كان من شهود محمد بن النعمان، وخليفة للحسين بن النعمان، ولى القضاء من قبل الحاكم سنة ٤٠٥هـ، ومات سنة ٤١٨هـ، كانت ولايته ١٢ سنة و٧ أشهر، ابن حجر: رفع الإصر، ص ٧١.

أبرح قتل، كما وثبوا على كل من عرفوا عن اعتقاده بهذا المذهب الباطل فقتلوا، وجروهم بأرجلهم في الطرقات وحرقوهم(١).

وما يؤسف له أن هذه الملمات والنوازل يجب أن يتصدى لها ولى الأمر، ويمنع انتشارها، ويعاقب متولى كبرها، إلا أن الحاكم كان هو المشجع لها تحقيقا لأهداف واهية، لا تعتمل إلا بذهنه.

أمر الحاكم بالقبض على المعتدين على أصحاب الزوزنى فقبض على ما يقارب من الأربعين، وأمر بقتلهم في أوقات متعددة(٢).

هاجم الأتراك دار الدرزى، وأحاطوا بها وقد أغلقها على نفسه وقاتلهم من فوقها، فقتلوا نحو الأربعين من أتباعه، وفر الدرزى إلى قصر الحاكم، وثار الأتراك، ولبسوا السلاح، وطلبوا من الحاكم تسليمه، فوعدهم بذلك إلى أن تمكن من إخراجه، ثم أجابهم بأنه قتل(٣).

تبين للحاكم أن أول من جرأ الجند عليه هم أهل مصر، فقرر مع عبيده ما يعاقبهم به، فكانوا ينزلون إلى مصر فيكبسكون الحمامات، ويأخذون بنات أهل مصر نهارا جهارا، وكذا تعرية الناس في الطرقات(٤).

---

(١) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٤٦، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٣، ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨٢.

(٢) ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٤.

(٣) ابن ظافر الأزدى:أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٤.

(٤)الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٤٦، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٥، ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨٢، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ١٩٣.

تمت تصفية الوزير على بن جعفر بن فلاح[١] سنة ٤٠٩هـ /١٠١٨م، وكان قد خرج من داره إلى القاهرة فلقيه فارسان متنكران فرماه أحدهما برمح جرحه، وهربا ولم يعرفا ولا يدركا، ومات متأثرا بجراحه في اليوم التالى[٢]، ويستمر الحاكم في سياسة تصفية أعيان الدولة بذنب وبغير ذنب، وبطرق بشعة لا يتصور معها أن يكون مرتكبها هو رأس الدولة.

وكذلك قام الحاكم بتصفية صاعد بن عيسى بن نسطورس[٣] أخو زرعة بن عيسى بن نسطورس بعد أن اصطنعه وخلع عليه في رجب سنة ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م، وقلده سيفا مرصعا، وضمن سجله أنه قسيم الخلافة، وفتك به في ذي

(١) أبو الحسن على بن جعفر بن أبى مرزوق الكتامى، من وزراء الدولة الفاطمية، كان أبوه من الأجواد المقدمين قدم مصر مع جوهر، وسار إلى الشام سنة ٣٥٩هـ، وقتل في حربه مع القرامطة، لقبه الحاكم بوزير الوزراء ذا الرياستين، جعل له ولاية الإسكندرية وتنيس ودمياط والشرطتين والحسبة، والعرض والإثبات، وظل على حاله إلى أن قتل سنة ٤٠٩هـ، الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٣٣، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٢، الدوادارى: كنز الدر، حـ٦، الدرة المضية، ص ٢٦٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١١٤.

(٢) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٣٣، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٣، الدوادارى: كنز الدر، حـ٦، الدرة المضية، ص٢٦٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١١٤.

(٣) الأمين الظهير تاج المعالى شرف الملك، أخو زرعة بن عيسى بن نسطورس، أسلم في بداية اضطهاد النصارى، خلع عليه سنة ٤٠٩هـ، وجعله قسيم الخلافة، وقتل في ذي الحجة من نفس السنة. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٤، الدوادارى: كنز الدر، حـ٦، الدرة المضية، ص٢٦٩.

الحجة من نفس السنة[١]، فلم يكد الوزير من هؤلاء الوزراء يتولى مهام ولايته، ويباشرها حتى يفاجئ بالتصفية، وذلك رغم الإنعام عليه بالخلع والألقاب والهدايا.

كان الحاكم قد قتل ركابيا بحربة في يده على باب جامع عمرو بن العاص، وشق بطنه بيده[٢] وهى من جملة التصفيات التي لم يوقف لها على سبب. ومن ذلك أيضا أنه كان قد استدعى ركابيا إلى حانوت شوّاء، وأوقفه بين اثنين، ورماه برمح، ثم أضجعه واستدعى سكينا فذبحه بيده، ثم طلب ساطور ففرق بين رأسه وجسده، ثم غسل يديه وانصرف، وحُمل المقتول إلى الشرطة، فأقام ليلة ثم دفن بالصحراء، ثم بعث الحاكم بعد ثلاثة أيام من نبشه وغسله وكفنه، وأمر قاضى القضاة بالصلاة عليه، وأمر ألا يتخلف أحد عن الصلاة عليه[٣].

وهذه التصفيات في مجملها تدل على صلابة وقسوة، والمبالغة في المعاقبة دون جريرة، وكذا المبالغة في إكرام ضحاياه بعد تصفيتهم.

ومن التصفيات التي شاعت خبرها في عهده، تصفية رجل أنكر أموالا لبعض حجاج المغرب، كان قد تركه لديه على سبيل الوديعة، فشكاه للحاكم، فاتفق مع ذلك الحاج المغربى على حيلة، حيث يتظاهر بمعرفته عند مروره أمام حانوت ذلك المصرى، وكلمه وأطال الحديث معه أمام ذلك الرجل، فلما انصرف الحاكم، أسرع الرجل المصرى إلى المغربى، وطلب منه العفو، ودفع

---

(١)ابن الصيرفى: الإشارة، ص٦٤.

(٢)المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٠

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص١٢١.

إليه الأموال، وعلم الحاكم بما جرى، فأصبح الذى أنكر الوديعة مقتولا معلقا برجله(١).

وإذا كانت هذه التصفية تنم عن تحرى الحاكم لرد الحقوق إلى أصحابها، إلا أن ذلك كان مقرونا بالمبالغة في العقوبة، فكان من الممكن أن يُسجن أو يُجلد أو ما إلى ذلك من العقوبات.

ولشدة وطأة الحاكم على المصريين كانوا قد صنعوا تمثالا لامرأة ووضعوا في يدها ورقة كأنها تشكو، ووضعوها في طريقه، فلما مر عليها أمر بأخذ الرقعة، فإذا به سب قبيح له، فلما قرأ ما فيها غضب وأمر بإحضار المرأة، فعلم أن الأمر خدعة، فأحضر قواده وأمرهم بالمسير إلى مصر، وضربها بالنار، ونهبها وقتل من يظفر به، فتواجه العبيد والمغاربة من جهة وأهل مصر من جهة أخرى، واستمرت الحرب ثلاثة أيام، والحاكم يتظاهر بالسؤال عن ذلك فيخبر بالأمر فيظهر التألم، ويقول من أمر بهذا ؟ إلى أن اجتمع العلماء والأشراف والشيوخ بالمساجد، ورفعوا المصاحف، وجاهروا بالبكاء، فرقت لهم الأتراك والكتاميين والمشارقة، فانحازوا إليهم، وانفرد العبيد بالقتال، فراسل الأتراك وكتامة الحاكم، وقالوا له البلد بلدك وملكك، ونحن نعلم أن أهله جنوا جناية تقتضى ذلك، وكان غرض الحاكم أن يقتل بعضهم بعضا، فلما شكوا إليه ركب حماره ووقف بين الفريقين، وحلف أنه برئ مما فعل العبيد، وحلف كذبا، وأعطى الأمان لأهل مصر، لكن بعد أن قتل الكثير، وهتكت الحرمات(٢).

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٢.

(٢) الفارقى: تاريخ الفارقى، حـ ١١٧، ص ١١٨، ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٥، ص ١٣٩، ١٤٠، سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٣١٢.

ثم كانت عاقبة الحاكم، وعصر ملئ بالتصفيات أن لقى حتفه على نفس النحو من الحيرة والاضطراب، وقد تعددت الأقوال في تصفيته من ذلك، استجابة أخته سيدة الملك لشكوى الخدم والعبيد وأرباب الدولة، لخوفهم من الحاكم واستيحاشهم، وهى تلمس حقيقة ما شكوه، فلما واتتها الفرصة اهتبلتها، ورتبت من اغتاله(١)، واستعانت في الخلاص منه برجل من أعيان الدولة يقال له ابن دواس(٢)، وبعض الغلمان، وقاموا بقتله طعنا بالسكين، وعثر على ملابسه في بركة شرق حلوان(٣)، نزل فيها بعض الخدم ووجد ثيابه مزررة كما هي وبها أثر طعنات السكين، ثم تلطفت بابن دواس، وكل من عاونه حتى طلبت حضوره القصر، ورتبت بعض خدمها، حيث وقف بحذائه وصاح: يا عبيد مولانا هذا قاتل مولانا الحاكم وأمرهم بقتله(٤).

(١) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٧٩، ابن الجوزى، المنتظم، حـ ١٥، ص ١٤١، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٨، السيوطى: حسن المحاضرة، حـ١، ص ٦٠٣.

(٢) من شيوخ كتامة يلقب بسيف الدولة، كان شديد الحذر من الحاكم، ممتنعا من لقائه، فلما استدعاه الحاكم قاله له وقع في نفسى أنك قاتلى، فدعنى على حالتى، فأمسك عنه الحاكم، ودبرت معه سيدة الملك أمر الحاكم ثم قتلته مع العبيد الذين ساعدوه في ذلك. النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٠٤.

(٣) من أقدم البلدان التي أنشأها العرب، واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل، غربى مدينة حلوان الحمامات بمقدار ٣ كيلومترات، جنوبي القاهرة على بعد عشرين كيلو متر من مصر القديمة، محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، حـ ٣، ص ١٢.

(٤) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٦٣، ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٥، ص ١٤٣، ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ١٣١، ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٩٥، ص ٩٦، السيوطى: حسن المحاضرة، حـ ١، ص ٦٠٣.

وإذا صحت هذه الرواية تكون سيدة الملك سارت على سنة سابقيها من حكام الفاطميين لكن بهدف استباب الأمور، واستبقاء دولة جهد أجدادها وآباؤها في الوصول إلى إتمام بناء صرحها، وكان فقد الحاكم في شوال سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م وعمره سبع وثلاثون سنة، وخلافة دامت خمس وعشرين سنة(١).

وبعد هذه التصفيات التي غص بها عهد الحاكم، والتي شهدت تنوعا عظيما، كان بعضها لأسباب قوية، والآخر لأسباب واهية، والكثير منها بلا سبب مطلقا، وكلها تدل في مجملها على قسوة، وقوة استبداد، فانطبعت صفات عصر الحاكم على حالات التصفية التي سادت فيه، وكان عصره من أقسى العصور التي عاشتها مصر بجميع طوائفها بلا استثناء فنال شره جميع الناس.

ولما قتل ابن دواس حملت رأسه إلى سيدة الملك، وقبضت على جميع أهله، وقتل كاتبه، ورميت جثته على باب القصر، ووجدت في بعض صناديقه السكين التي قتل بها الحاكم، فأقامت جثة ابن دواس ثلاثة أيام، والمنادى ينادى عليها: هذا جزاء من غدر بمواليه(٢).

---

(١) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٦٣، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٠، الفارقى: تاريخ الفارقى، ص ١١٦، ص ١١٧، ابن ظافر الأزدى: أخبا الدول المنقطعة، ص ٥٩، ص٦٠، ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ١٢٨، ابن الشحنة: روض المناظر، ص ١٨٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٠.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٨.

خلافة الظاهر لإعزاز دين الله[١] (٤١١- ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ - ١٠٣٥م):

لم تجر أي معارضة عند بيعة الظاهر، إلا ما كان من غلام تركى كان يحمل الرمح بين يدى الحاكم، قال: لا أبايع حتى أعرف خبر مولاى، فأخذ وسُحب على وجهه وغُرق في النيل[٢]. ويبدو أن سيدة الملك هي التي أمرت بهذه التصفية حفاظا على هيبة الدولة، وحتى لا يجزو حزو هذا العبد كائنا من كان.

ثم قبضت سيدة الملك على ظهير الملك عمار بن محمد[٣] وكان يتولى زم[٤] المشارقة والأتراك وهو الواسطة بين الحضرة وبينهم، وكان له التوقيع عن الحاكم في آخر أيامه، ثم تولى البيعة لابنه الظاهر، وخلع عليه بالوساطة

(١) أبو الحسن على بن الحاكم، بويع بالخلافة لما قتل أبوه الحاكم في آخر شوال سنة ٤١١هـ، وعمره ست عشر سنة وأشهر، وتوفى بالقاهرة نصف شعبان سنة ٤٢٧هـ، وعمره إحدى وثلاثين سنة، ومدة خلافته خمس عشرة سنة، الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٦٥، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٠، سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٣١٨، ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص١٢٤، ص ١٢٥.

(٢)المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٥.

(٣) خطير الملك أبو الحسن عمار بن محمد، كان له زم المشارقة والأتراك، وهو من أخذ البيعة للظاهر، تولى الوساطة سنة ٤١٢هـ، ظل على الوساطة سبعة أشهر، وقتل في الفج، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٥، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٨.

(٤) وظيفة الزمام يشرف شاغلها على ديوان بعينه أو فئة بعينها من الخدم أو الحرس. المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٨.

سنة ٤١٢هـ / ١٠٢١م، وكانت مدة وساطته سبعة أشهر، وقتل في الفج[١] وزال أمره[٢].

ويبدو أن خطير الملك كان قد اطلع على شيء من أمر سيدة الملك، فأرادت الخلاص منه، فأمرت بتصفيته " أحضرت الوزير الملقب بخطير الملك، وعرفته حال الحكام واستكتمته الأمر، وحلفته على الطاعة والولاء"[٣].

وكذلك تمت تصفية موسى بن الحسن[٤] الذى خُلع عليه بالوساطة بعد خطير الملك، ثم اعتقل لمدة ثم أخرج مسحوبا وسُجن، ثم أُخرج وقتل في الفج، ومدة وساطته تسعة أشهر[٥]، ويبدو أن سبب تصفيته يكمن في اطلاعه على شيء من أمر سيدة الملك وأخيها الحاكم، فتخلصت منه بتصفيته.

وقد ورد أن سيدة الملك قد قتلت جماعة ممن اطلع على سرها في قتل الحاكم، وعظمت هيبتها في نفوس الجميع[٦]، وهدفت من وراء هذه التصفيات

---

(١) الفج: الطريق الواسع بين جبلين، المعجم الوجيز، ص ٤٦٢.

(٢) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٧٤، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٥، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٨، ص ١٨٣.

(٣) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ص ٣١٨.

(٤) بدر الدولة أبو الفتوح موسى بن الحسن، ولى الشرطة السفلى، ثم ولى الصعيد سنة ٤١٢هـ، ثم ديوان الإنشاء، ثم الوساطة سنة ٤١٣هـ، وقبض عليه واعتقل ثم أخرج بعد ذلك وقتل في الفج. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٩.

(٥) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٦٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٩.

(٦) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٢٩.

في بداية عهد الظاهر إلى تسكين الأوضاع وعدم إثارة المشاكل والاضطرابات في تلك المرحلة.

وفى بداية سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م أخذ رجل نصرانى كان قد أسلم، وكتب الحديث وقرأ القرآن، ثم ارتد إلى النصرانية، وقال: ما عمل في سحر نبيكم، ولما ثبتت عليه مقالته ضربت عنقه، وكان قد لبث في الاعتقال عشرة أيام، يراجع فيها للعودة إلى دين الإسلام، ويهدد لكنه لا يزعن، ولا يجيب، ولما يأسوا منه أُمر بقتله(١).

ويبدو أن ذلك الرجل ممن أسلم في زمن الاضطهاد، ولم يرجع إلى دينه عندما أذن الحاكم بذلك، ربما بتأثير الخوف، وعدم الشعور بالثقة تجاه الأمان الذى منحه الحاكم للنصارى.

كما تمت تصفية رجل في بداية ذلك العام، جاء وعليه أثر السفر، وادعى أنه لقى الحاكم بأمر الله هناك، وأن الحاكم أرسل إلى الناس لينتهوا عما هم فيه فضرب عنقه(٢).

وقد وقعت ثورة في الصعيد لشريف حسنى قُبض عليه، فأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة نفر تفرقوا في البلاد، خرج ثلاثة منهم خارج مصر، وأظهر قطعة من جلد رأس الحاكم، وقطعة من الفوطة التي كانت على رأسه، ولما سئل عن سبب قتله قال: غرت لله وللإسلام، ولما قيل له كيف

(١) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٧٥، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٣٦.
(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٣٦.

قتلته، فأخرج سكينا وضرب بها فؤاده فلقى حتفه، وقطعت رأسه، وانفذ إلى الحضرة مع ما وجد معه(١).

هكذا يصفى هذا الثائر جسده قبل أن تتناوله الأيدى فيعبثوا به، ويقتلوه شر قتلة ويجعلوه طعمة للكلاب، وهذا الأمر يوضح مدى التضارب في أمر قتل الحاكم، وإن كان هذا الأخير أقرب للعقل والمنطق. خاصة وأن تصرفات الحاكم وتعسفه كانت واقعة منذ زمن بعيد، يسبق بكثير وقت اختفائه، فلماذا تقدم سيدة الملك على قتله في هذا التوقيت تحديدا، وكان من الممكن أن تلوح لها فرص عديدة للفتك به قبل هذا التوقيت، إلا أن ظهور هذا الثائر وإقراره بالأمر، وأن تصفيته للحاكم غيرة لله وللإسلام، لما كان من سكوت الحاكم على دعوة الإلهية، وتقريبه لأصحاب هذا الفكر، ومن هنا كان التخطيط لقتله.

وكان قد تم اعتقال على بن أبى الرداد(٢) من قبل صاحب الصناعة(٣)، بعد

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص١٤٠.

(٢) من نسل عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرداد المؤذن، وأصله من البصرة، وجعل على قياس النيل هو وبنيه من بعده، وظل فيهم، وعرف هو وبنيه بالمقياسى نسبة إلى مقياس النيل، والذى تولاه هو قياس النيل بمقياس جزيرة الروضة، واستمرت في ولده إلى عصر ابن خلكان، وفيات الأعيان، حـ ٣، ص ١١٢.

(٣) أي صناعة السفن بالمقس، وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس، وصاحب الصناعة الشريف أبو طالب بن العجمى، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ ٢، ص ٣٦٨، ٣٦٩، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٤٠.

أن تشاتما وتقابحا، فأقام قاضى القضاة ابن أبى العوام مشارفين[١] على ابن الرداد طبقا لطلب صاحب الصناعة، وللوقوف على حال المقياس[٢]، وبالنظر في حالة وجدوا مجارى المياه مسدودة، وأن ابن الرداد يتناول في كل سنة خمسين دينارا لكنس تلك المجارى، والماء عند حد لا يتجاوزه، ولما فتحت المجارى وصل الماء إلى حد أكبر[٣]، والظاهر من عقوبة الاعتقال هذه أن صاحب الصناعة كان محقا خاصة أن إهمال أمر المجارى بالمقياس يؤثر على عمل الصناعة.

ومن جملة التصفيات ما كان من دخول نسيم صاحب الستر[٤] بطائفة من الجنود إلى صاحب بيت المال[٥] وبين يديه حسباناته، فأمر بختم القراطيس، وتم اعتقاله بحجرة في القصر ثم ضربت عنقه في العشاء، وقيل في سبب تصفيته عدة أمور منها:

---

(١) يكون في عهدته جميع المتحصلات المالية بعد ختمها، ومن مهامه أن يطلب التفاصيل الكاملة عن أي جهة ضريبية في دائرة عمله، ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص ٣٠٢، ص ٣٠٣.

(٢) عمود رخام أبيض مثمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعا، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالأصابع، ماعدا الاثنى عشر ذراعا الأولى، فإنها مفصلة على ثمان وعشرين كل ذراع، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ ١، ص ٩٥.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٤٥.

(٤) كان يتزعم مائة عبد يختصون بركاب الخليفة، ويحملون السيوف بين يديه، ويقتلون من يأمرهم بقتله، ابن تغرى بردى: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، حـ ٤، وزارة الثقافة والإرشاد، د.ت، ص١٩٠، ص ١٩٢.

(٥) الشيخ العميد محسن بن بداوس صاحب بيت المال، قتل لاتهامه بممالأة حسان بن الجراح للإيقاع بالدولة، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٥٨.

- أنها وشاية من صاحب الصناعة[١].
- بسبب ميله لبعض خدام القصر دون البعض الآخر، فأوقع به هؤلاء[٢].
- قيل وجدت له مراسلات مع حسان بن الجراح[٣] يغريه بالدولة وبالإيقاع بها، ويشير عليه بمراسلته عن طريق الرهبان، لكونهم من أهل الثقة لدى الدولة[٤].

ومن عجيب أمره أنه كان يتحرز مخافة القتل على يد الحاكم، فلما أمن غدر الحاكم كانت تصفيته، ولا نستطيع الجزم بصحة كل الأسباب المتقدمة، غير أن ذلك الرجل قد يكون دفع حياته ثمنا لوشاية، أو لتسلط بعض خدم قصر الخلافة، وهو ما يجعلنا نخلص إلى زيادة سطوة العبيد والخدم في تلك الفترة.

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص١٥٨.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص١٥٨.

(٣) حسان بن مفرج بن دغفل بن معن الطائى، أمير كبير من آل الجراح، كان قد لقب من قبل حكام مصر بعدة الدولة، وقدم حلب مخالفا لصالح بن مرداس، ثم اتفقا على العساكر المصرية أيام الظاهر، وهو الذى هرب إليه أبو القاسم الحسن بن على المغربى، ابن ابى جرادة: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، حـ ٥، تحقيق سهيل ذكار، دار الفكر، د.ت، ص ٢٢٤٠ وما بعدها.

(٤) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص١٥٨.

كما تمت تصفية أبو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامة[١] بالاعتقال، وذلك أنه حضر موكب للظاهر، وكان يحضره أيضا جمع غفير من النـــاس، فاستغاثوا بصيحة واحدة من الجوع، وكان هذا الرجل حاضرا، وقــد اختــل عقله، فوقف تحت القصر، وأخذ في شتم الظاهر بــأقبح الألفــاظ، فضــربه الرقاصون الذين يسيرون أمام الظاهر في موكبه حتى سقط، وجروه برجلــه إلى سجن الشرطة، وضربه متولى الشرطة ثلاثين درة واعتقله[٢].

وهذه تصفية لم يعذر صاحبها لاختلال عقله، ورقة حالة وجوعه، ويــدل الأمر على الاهتمام بالمحافظة على رسوم الدولة والمواكب، دون النظر إلــى توفير الغلال لمواجهة الجوع الذى حرك الناس عليه، والمعاقبة فيمــا يمكــن التجاوز عنه.

ومن التصفيات التي وقعت في عهد الظاهر تصفية قاضى سفط[٣] من قبل

---

(١) هو ابن جيش بن محمد بن الصمصامة، وخال أبيه محمد المغربى الكتامى، ولى والده دمشق من قبل برجوان، وكان ظالما سفاكا للدماء، وقد تعاقد والده مع برجوان= =على ابن عمار، وانتهى أمر ابنه بمصر حيث اختل عقله في عهد الظاهر، أبى القاسم الشافعى: أبى القاسم على بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعى (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)، تــاريخ مدينة دمشق، حـ ١١، تحقيق محب الدين أبى سعيد عمر بن غرامة العمرى، دار الفكــر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٣٤٥، ص ٣٨٢.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٦٤.

(٣) سفط أطلقت على نواحى متعددة، وإن كان أقربهن لسكنى بنى قرة في الحوف الغربى أو في الصعيد، فإذا كانت في الحوف الغربى فهى سفط البحيرة. محمد رمزى: القــاموس الجغرافى، ق١، ص ٢٧٨، وإذا كانت في صعيد مصر فمن المحتمل أن تكون سفط نهيــا، لمجاورتها نهيا من أعمال الجبرية، وهى سفط اللبن حاليا بالجيزية، محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، حـ ٣، ص ٦٢.

بنى قرة، حيث قاموا بأعمال النهب في أنحاء سفط[١] وهى تصفية تدل على تردى الأوضاع بسبب قلة الأقوات، واتجاه كثير من الأطراف إلى أعمال النهب تلافيا لهذا الجوع.

كان الغلاء قد اشتد سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م، وعدمت الأقوات، وبلغ الأمر مداه بخروج عبيد الدولة لنهب الرعية، ومعهم النهابة، وبلغت عدتهم نحو الألفين، فأُذن للعامة بقتل من تعرض لهم من العبيد[٢]، وكان قادة الدولة قد طردوا العبيد، وعند طردهم وجدا قوم ممن نهبوا أمتعة الناس فقضبوا عليهم، وضربوا رقاب تسعة منهم، ورموا جثثهم للكلاب، ثم لقوا ستة آخرين فضربوا رقابهم[٣].

ولما تعذر وجود الخبز، وارتفع ثمنه، بات الناس يتوقعون السوء من النهابة، فأصبح النهابة يطوفون أسواق مصر، فقُبض على اثنى عشر رجل منهم، ضربت رقابهم، ورميت للكلاب على أبواب القاهرة، ووجد كتاميا أخذ حمارا محملا دقيق فضربت عنقه[٤].

كلها تصفيات تدل فى مجملها على تردى الأوضاع الاقتصادية، واضطراب الأمن الداخلى للبلاد، وشيوع النهب والسرقات، فتمت تصفية كل خارج عن الدولة حفاظا على الأمن.

كان بمصر سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م فتنة بين طائفتى الأتراك والمغاربة،

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٦٩.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٦٩.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٧٠.

(٤)المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٧٠.

قتل فيها جماعة، وكانت الغلبة للأتراك، ثم للمغاربة، وانضمت العامة للمغاربة ضد الأتراك، فقتل عدد كبير من الأتراك(١).

ولا تكاد البلاد تخرج من حالة تردى حتى تقع في الأخرى، ولعل الطوائف التي تصدرت حالات التصفية في هذه الفترة، كانت طائفتى العبيد والجنود، بما أثاروه من هلع للعامة، وفتن فيما بينهم.

ومن تصفيات سيدة الملك في هذه الفترة ما كان من قتل أحد أبناء البيت الفاطمى(٢) الذى كان يرفض مبايعة الظاهر بن الحاكم(٣) وكذا تصفية ولى عهد الحاكم(٤)، حيث تم اعتقاله مع أهله إلى دمياط(٥) حيث كانت قد حددت إقامته بها، ثم دفع له الظاهر سما في الفاكهة، فمات مسموما، وأظهر الظاهر للناس أنه قتل نفسه(٦)، وقد أقدمت سيدة الملك والخليفة الظاهر على تصفية بعض أبناء البيت الفاطمى ممن يُظن تطلعهم إلى مرتبة الخلافة، وما ذلك إلا لإبعاد

---

(١)المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٧٧.

(٢) أبو هاشم العباس بن داود بن عبيد الله المهدى. الذى أجبرته سيدة الملك على مبايعة الظاهر، ولم يوقف له على أثر بعدها. المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٨٣.

(٣) عبد الرحيم بن إلياس بن أبى على بن المهدى بالله أبى محمد عبيد الله، ولى عهد الحاكم، حددت إقامته في دمياط، ثم دفع له سم في الفاكهة فمات مسموما، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٠١.

(٤)المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٨٣.

(٥) مدينة تقع على الشاطئ الشرقى لفرع النيل الشرقى،، وبينها وبين مصب هذا الفرع ١٥ كيلو متر، وهى من المحافظات القديمة، قاعدتها مدينة دمياط، محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، حـ ١، ص ٨.

(٦) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٦٨، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ١٨٣.

تهديدهم عن الظاهر، لتمهيد الأمور له، وإبعاد منافسيه.

ومن أحسن التصفيات في عهد الظاهر والتي لاقت ارتياحا عظيما، ما كان تجاه أتباع مذهب تأليه الحاكم حيث أمر الظاهر بالقبض على أتباع هذا المذهب، واستتيبوا، فمن رجع عفى عنه، ومن أبى قتل وصلب، وهلك منهم كثير لإصرارهم على مذهبهم(١).

ولعل هذه التصفيات بالحبس والقتل والصلب جاءت تعبيرا عن مكنون نفوس المصريين، من الإنكار الذى لم يتح لهم التعبير عنه في عهد الحاكم.

وسائل التصفية في عهد المستنصر بالله(٢) (٤٢٧ – ٤٨٧هـ / ١٠٣٤ – ١٠٩٤م):

استمرت آثار اختفاء الحاكم إلى عهد المستنصر، ووقع من جراء ذلك عدة تصفيات، ومن ذلك ظهور رجل يشبه الحاكم سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م، فادعى أنه الحاكم، وقد رجع بعد موته، فالتف حوله جماعة ممن يعتقد رجعة الحاكم، واستغلوا خلو دار الخلافة من الجند، ودخلوا القصر، فقبض الجند على ذلك المدعى ويدعى (سكين)، ووقع القتال، وقتل من أتباعه جماعة، وأُسر الباقون، وتم صلبهم أحياء، ورموا بالنشاب(٣) حتى ماتوا(٤)، وهذه الحادثة تدل على أن آثار مذهب تأليه الحاكم كانت لا تزال عالقة في الأذهان، وهذه التصفية حتما كانت ذا تأثير كبير على زوالها.

---

(١) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص٣٧٢.

(٢) أبو تميم معد بن الظاهر بن الحاكم، بويع له بالخلافة يوم وفاة والده سنة ٤٢٧هـ، وكانت وفاته سنة ٤٨٧هـ، ودخل النفوذ الفاطمى في عهده إلى بغداد. ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٦٧، ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص ٨٢، ص ٨٣، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٠٩.

(٣) النشاب: النبل، واحدته نشابة، المعجم الوجيز، ص ٦١٥.

(٤) ابن الأثير: كامل، م٨، ص ٢٦٠ النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢١٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٨٩.

وفى سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م قُبض على ابن الأنبارى[١] وكان قد سعى فيه الوزير الفلاحى[٢] فحمل إلى خزانة البنود[٣] فقتل ودفن فيها[٤].

والحقيقة أن السب في هذه التصفية أن ابن الأنبارى قد تعجل من سوء التدبير ما فوته مراده، وذلك أن بعض أصحاب ابن الأنبارى تكلم بكلام قبيح على أبو نصر هارون ابن التسترى[٥] أخو أبو سعيد التسترى[٦] وظن أن ابن الأنبارى سينكر ذلك إذا بلغه، إلا أن رد فعل ابن الأنبارى كان على عكس ما

---

(١) أبو على الحسن بن على الأنبارى صاحب الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى، قام الوزير الفلاحى بقتله بإشارة بنو التسترى بخزانة البنود. ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٤، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٩٤.

(٢) تاج الرئاسة فخر الملك أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحى، كان يهوديا واهتدى للإسلام، استقرت الوزارة له بعد وفاة الجرجرائى، حقد على أبو سعد التسترى، تسلطه عليه فعمل على الخلاص منه، فتنكبت له والدة الخليفة حتى تخلصت منه سنة ٤٤٠هـ. ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٤، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٩٤.

(٣)البنود هي الرايات والأعلام، وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير، بناها الخليفة الظاهر. المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ ٢، ص ٢٧٨.

(٤) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٤، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢١٤، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٩٤.

(٥) أبو سعيد إبراهيم بن سهل التسترى، وأخوه أبو نصر، يهوديان كانا يعملان بالتجارة، وطلب الظاهر منهما ابتياه بعض المتاع له، واشترى منهما جارية سوداء، تحظى بها واستولدها المستنصر، فحفظت ذلك لأبى سعد، ولما أفضت الخلافة إلى ولدها فوضت إليه ديوانها، وقتل سنة ٤٣٩هـ. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٧١.

(٦) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٧١.

توقع ابن التسترى، بل وبلغ ابن التسترى أضعاف ما سمع من المقربين لابن الأنبارى، فأخبر أبو سعيد بذلك، فأغرى به والدة المستنصر، ولما ولى الفلاحى الوزارة كاد الفلاح لابن الأنبارى بإيعاز من أبناء التسترى فوضع عليه الفلاحى ديونا، وأغرى به، وقال على لسانه ما يوجب الغضب منه، حتى تم له ما أراد ونوع له أصناف العذاب ثم قتله (١).

وكان التسترى قد عظم أمره، ولم يكن للفلاحى معه أمر ولا نهى، وليس له من الوزارة إلا الاسم، فاستغل أمرا للكيد به، حيث إن بعض خدام قصر الخلافة(٢) كان قد انتدب لحرب بنى قرة فهزمهم، وقتل منهم مقتلة، فعظم أمره، وغضب أبا سعيد التسترى لهذا، فأوقع بين طوائف الجند، وأثار النعرات، ثم مرض ذلك الخادم ومات، فاتهمه الفلاحى بسمه، وأوغر عليه الصدور، فتحينوا الفرص لقتله، حتى ظفر به ثلاثة جنود من الأتراك وقتلوه(٣).

وقد ورد أن الجنود قطعوا لحمه، فاشترى أهله ما قدروا عليه، ووضعوه في صندوق، وأخذ الجند الباقى وأحرقوه، وكان أهله قد احتاطوا على ما اشتروه من أعضائه في تابوت وأفردوه في قاعة وأسدلوا عليه الستور،

---

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، م١، حـ ٢، ص ٢٧٩، ص ٢٨٠.

(٢) عزيز الدولة ريحان أحد خدام قصر الخلافة، انتدب لقتال بنى قرة، فظفر بها وعلت مكانته، فحقد عليه أبو سعيد التسترى، ولما مرض ومات اتهمه الفلاحى والجند بسمه ووقعت لذلك فتن وحروب. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٧١، ص ٧٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٩٤.

(٣) الصيرفى: الإشارة، ص ٧١، ص ٧٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٩٤.

وأوقدوا الشموع، فتحركت الستور وأضرمت النار وأحرقت التابوت بما فيه[١].

لما تحقق لوالدة المستنصر ضلوع الفلاحى في قتل التسترى أمرت بالقبض عليه، وصرفته عن الوزارة، واعتقلته بخزانة البنود، ثم قتل ودفن فيها سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م حتى قيل أنه دفن مع ابن الأنبارى في لحده[٢].

ولما أخذه الجنود وساروا به إلى خزانة البنود، حفرت له حفرة ليوارى فيها، فظهر للفعلة عند الحفر رأس، فلما رُفع سُئل عنه فقال : هذا رأس ابن الأنبارى، وأنا قتلته، ودفن في هذا الموضع وأنشد:

رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الأضداد[٣]

وكذلك تمت تصفية خليفة الوزير أبو سعيد التسترى، وهو رجل يقال له ابن عبدون، كان قد ولاه خلافته في مجلس القاء، فكان قاضى القضاة لا يعقد مجلسه، ولا يحل ولا يعقد إلا بحضوره، وكان قد حضر إليه خصم تشفع إليه

(١) الصيرفى: الإشارة، ص ٧١، ص ٧٢، ابن ميسر: تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م)، المنتقى من أخبار مصر، انتقاه أحمد بن على المقريزى، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت، ص٤، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢١٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٩٤.

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٤، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٧١، ص ٧٢، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٧٨، ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص ٨، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢١٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٠٣، سلام شافعى: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمى، ص ٤٠.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ١٩٦.

بأصدقائه فلم يجبه إلى شيء، وسأل الشهود في التشفع له عنده، فلم يعره انتباه، حتى خرج يوم من مجلس القضاء ليركب دابته، فتقدم إليه المتظلم، وقبل ركابه فانتهره، فلما أيس منه المتظلم وثب عليه بخنجر خرقه بطنه، فخر ميتا، ثم أُخذ المتظلم إلى أبى سعيد فنكل به وقطع يديه ورجليه وضرب عنقه(١)، وتصفية خليفة القاضي كانت بسبب عدم قبوله الشفاعة في الأحكام، فلقى قاتله جزاءه.

وفى سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م كانت تصفية أبو البركات الحسين بن محمد الجرجرائى(٢) بالنفى إلى صور(٣) ولم تطل وزارته أكثر من تسعة أشهر وعشرة أيام(٤). وهكذا كانت من سيرته البطش والفتك يبطش به، وما كان ذلك منه إلا اغترارا بعادة الدولة في تلك الآونة، من ترك وإعتراض الوزراء، وكان يجب عليه ألا يترك مراقبة الله تبارك وتعالى في سائر عمله.

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣٠٤.

(٢) أبو البركات الحسين بن محمد الجرجرائى بن عماد الدولة محمد، أخى الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى، ولى بعد القبض على الفلاحى سنة ٤٤٠هـ، وقد ساءت سيرته لكثرة النفى والمصادرات والبطش، وكان صرفه في شوال سنة ٤٤١هـ، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٧٢.

(٣) صور مدينة قديمة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، كانت من ثغور المسلمين، وهى مشرفة على بحر الشام، يحيط بها البحر من جميع جهاتها، إلا الربع الذى فيه بابها، فتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب، ونزل عليها الإفرنج سنة ٥١٨هـ، وسلمها أهلها بالأمان بعد طول حصار. ياقوت الحموى: معجم البلدان، حـ ٣، ص ٤٣٣.

(٤) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٧٢، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٠، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٩٨، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢١٠.

وتتوالى تصفية الوزراء حقدا وغيلة، فها هو الوزير اليازورى[١] الذى اجتمع لم يجتمع لغيره من الوزارة والقضاء وديوان خاص والدة الخليفة، فقبض عليه سنة ٤٥٠هـ، حيث سُجن، وسُعى به أنه كاتب السلطان طغرلبك[٢] السلجوقى، وأغراه بقصد الديار المصرية، فقبض عليه، ونُقل إلى تنيس، ولما قبض على اليازورى ولى الوزارة بعده صاحبه أبو الفرج البابلى[٣]، وكان لما ولى الوزارة بعده سعى في قتله سعيا حثيثا، فأرسل من قتله بغير إذن المستنصر، فعظم الأمر عليه[٤].

---

(١) أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى، كان أبوه من أهل يازور، بلدة من أعمال الرملة، كان من ذوى اليسار ورد إلى مصر وتعلق بخدمة السيدة والدة المستنصر، بعد قتل أبو سعيد التسترى، ثم جمعت له مع خدمتها الوزارة، حتى قبض عليه وسجن ثم قتل، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٧٣، ص ٧٤، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٧٨، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٢، ص٢٢٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٣٦.

(٢) ركن الدين أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، أول ملوك السلاجقة، استعان به الخليفة العباسى للقضاء على فتنة البساسيرى، ابن الصيرفى: الإشارة، ص٨٠.

(٣) أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى، ولى الوزارة للمستنصر ثلاث دفعات الأولى عند القبض على اليازورى سنة ٤٥٠هـ، وصرف بعد شهرين، والثانية سنة ٤٥٢هـ وأقام أربعة أشهر، والثالثة سنة ٤٥٤هـ، وأقام خمسة أشهر، وأعفى ثم اعتقل، وظل بداره إلى أن مات. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٨٣.

(٤) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٧٣، ص ٧٤، ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٦، ص ٢١، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٧٨، ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ٣٣٨، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٢، ص ٢٢٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٣٦.

ومما ورد في تصفيته أنه اتهم بمكاتبة طغرلبك، وأغراه بالتوجه إلى الديار المصرية، ولكنه إنما دافعه بالحيلة حتى فوت عليه الفرصة عند إمكانها، فاغتاظ طغرلبك وقال: خدعنى ذلك الفلاح، وسخر منى، وكانت علو منزلته سببا في السعاية به، حتى تمنوا زوال أيامه، ونصبوا له الحبائل، فزين أعداؤه للخليفة أنه إنما نقل أموالا جمة إلى الشام، وقد عول على الهرب، فضلا عن أن الخليفة قد شك في صحة ما يقوله الوشاة، وذلك لعظم النعمة التي كانت بادية عليه، وعلى أولاده، فأمر بالقبض عليه وعلى أولاده في محرم سنة ٤٥٠هـ /١٠٥٨م، إلا أن البابلى لم يكتف بالحبس والنفى إلى تنيس، وأخذ يدفع المستنصر لقتله، وهو يدافعه إلى أن أرسل من قتله دون مشاورة المستنصر(١).

أرسل البابلى من يضرب عنقه، وعلمت والدة المستنصر، فسألته إن كان قد أمر بقتل اليازورى، فنفى ذلك، فطلبت منه أن يرسل من يمنع ذلك، إلا أن البابلى كان قد أمر رسوله أن لا يبل ريقه بقطرة ماء قبل إمضاء السيف في اليازورى، فضربت رقبته، وحملت الرأس إلى القاهرة، وطرحت الجثة على المزبلة ثلاثة أيام، ثم صدر الأمر بتكفينه ودفن الرأس مع الجثة(٢).

ومن الغريب أن اليازورى كان قد قدم البابلى، ورفعه دون غيره، وخصه بإحسانه، وقربه إليه، إلا أنه قابل إحسانه بكل قبيح، وذكره بما لا يستحق، فلم يقتنع باعتقاله وأبى إلا قتله(٣).

---

(١) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٨٠، ص ٨١، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٦، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٣٨.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢١٣.

(٣) المريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٤١، ص ٢٤٢.

ثم دارت الدائرة على الوزير البابلى الذى أفضت إليه الوزارة بعد اليازورى، وتولى الوزارة ثلاث ودفعات ثم أعفى وتم اعتقاله، فلزم داره إلى ان مات[١]، والحقيقة أن تصفية البابلى بالاعتقال وتحديد الإقامة جزاء غير مناسب بعدما اقترفه من ذنب تجاه ولى نعمته ومستخدمه، ورافع قدره الوزير اليازورى، وليكن جزاؤه وفاقا عند رب العالمين.

وقد وقعت عدة تصفيات في سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م كان مبعثها واحدا، والذين تمت تصفيتهم من جند وعبيد الدولة، وذلك في الفتنة التي وقعت في تلك الآونة، ومؤداها أن الخليفة المستنصر كان يركب كل سنة إلى المكان المعروف بجب عميرة[٢] وكان يخرج مع النساء والحشم والخدم للتنزه، مغيرا هيأته كأنما يريد الحج على سبيل السخرية، كما ورد أنه كان يحمل الخمر عوضا عن الماء، ولما كان على عادة خروجه في تلك السنة، خرج بعض الأتراك في نوبة سكره، وجرد سيفا على بعض عبيد الشراء، فلم يمهله العبيد حتى قتلوه، فغضب الأتراك، واجتمعوا ودخلوا على المستنصر، وسأله إن كان هذا عن رضى منه فأنكره، فخرج الأتراك واشتبكوا مع العبيد، ودارت معارك

(١) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٨٢، ص ٨٣، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٧٩، ص ٨٠، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٨، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص٢٥١.

(٢) يقع جب عميرة شمال شرق القاهرة، كما يعرف ببركة الحاج، لتجمع الحجاج به، سمى بعميرة بن تميم التجيبى، من بنى القرناء الذين شهدوا فتح مصر، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص٢٦٥.

بينهم بناحية كوم شريك[١]، فانهزم العبيد وقتل عدد منهم، وقويت شوكة الأتراك والسيدة أم المستنصر تمد العبيد بالأموال والسلاح[٢].

ولما وقف الأتراك على تدبير والدة الخليفة، دخلوا عليه وأغلظوا له القول، فدخل عليها وعاتبها على تقوية العبيد على محاربة الأتراك، وجرت محاولات للإصلاح بينهم حتى وقع الصلح على يد الوزير أبى الفرج بن المغربى[٣].

كانت والدة الخليفة تحقد على الأتراك لاشتراكهم في تصفية أبو سعيد التسترى، فأكثرت من العبيد، وأظهرت كراهيتها للأتراك، ولم تتوقف عند ذلك، بل أغرت الوزراء الواحد تلو الآخر للإيقاع بالأتراك، منهم الجرجرائى الذى خاف سوء العاقبة، فلم ينفذ طلبها، أما اليازورى فأفصح عن حكمة وحسن تدبير، وساس الأمور خير سياسة دون إثارة الفتن، ولما ولى البابلى نفذ أمرها، فوقعت الفتنة التي كانت من أسباب خراب مصر[٤].

---

(١) كوم شريك بالقرب من الإسكندرية، سمى بشيرك بن سمى بن عبيد يغوث الذى أرسله عمرو بن العاص لقتال الروم، فخافهم على جنده لكثرتهم، فانحاز إلى الكوم بهذه المنطقة انتظارا لقدوم عمرو بن العاص، حتى أدركه. المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٢٦٦.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٥، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٢٦٦.

(٣)أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى، كان جده محمد قد هرب من الحاكم، في أعقاب تصفية أبناء البيت المغربى، ثم خرج من بغداد إلى المغرب أثناء فتنة البساسيرى، وزر للمستنصر بعد البابلى، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٨٣، ص ٨٤، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٢٥١.

(٤) ابن ميسر: ا لمنتقى، ص ٢٤، ص ٢٥، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٢٦٧.

وكذا تمت تصفية أبا عبد الله محمد بن حامد التنيسى[١]، وكان قد أقام في الوزارة يوما واحدا ثم صُرف وقُتل[٢].

ثم جرت تصفية من نوع آخر للوزير ابن زنبور[٣] الذى لم يقم في الوزارة إلا أياما قلائل، وقد شغب عليه الجند وطالبوه بأرزاقهم، فوعدهم وطمأنهم، إلا أنه ما لبث أن هرب فبطل أمره[٤]، وهذه التصفية أعنى بها زوال أثره من مسرح الحياة السياسية بمصر، خاصة بعد أن اعتلى أعلى مدارج المراتب الإدارية بتوليه الوزارة، ويبدو أن تردى الأحوال المالية جعله يهرب خوفا من تطور الأمور بما لا يحمد عقباه.

عادت الفتن بين طوائف الجند إلى سابق عهدها بعد أن اختبأت نيراتها نحت الرماد مدة مديدة، حيث أتت سياسية السيدة والدة المستنصر في الإكثار من شراء العبيد بنتائج عكسية، خاصة بعد العداء مع الأتراك، لاسيما بعد أن

(١) من أهل تنيس، كان ذا يسار وسعة حال، دخل مصر في زمن الفتن، واختلال الأحوال، واستقرت له الوزارة، فأقام فيها يوما واحدا، وصرف ثم قتل. ابن الصيرفى: الإشارة، ص٩٣.

(٢) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٩٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص ٢٧٢.

(٣) أبو سعد منصور المعروف بابن زنبور، كان أبوه اليمن بن سورس بن مكرواه ناظر ديوان أسفل الأرض، وكان نصرانيا، وولده هذا على دينه، ولما افضت إليه الوزارة أسلم، وخُلع عليه وقُلد مصحفا، والنصارى ينكرون إسلامه، ثم ما لبث أن هرب، وبطل أمره. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٩٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٢.

(٤) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٩٣، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٢.

قويت شوكة الأتراك، وساءت أحوال العبيد، وكثر عددهم وضـــررهم، حتـــى وصل عددهم بالقاهرة وما حولها نحو الخمسين ألف(١).

في ظل تلك الظروف ساءت أحوال البلاد، وخلت الخزائن من الأمـــوال، وفى الوقت الذى تجرى الأمور على هذا النحو، نجد السيدة تراسل قادة العبيد، وتحثهم على الإيقاع بالأتراك لإخراجهم من مصر، فاســتجاب العبيــد لهــا، وتعاقدوا على تنفيذ الأمر، فخرجوا إلى شبرا دمنهور(٢) وساروا منهــا إلـــى الجيزة، وخرج الأتراك للقائهم، ودارت رحى معارك انجلــت عــن هزيمــة العبيد، وكسر شوكتهم، وانهزامهم إلى الصعيد(٣).

شهدت البلاد في هذه الظروف تصفيات بالجملة لطائفة من طوائف عبيــد الدولة وجنودها، فضلا عما مثلته هذه الفتنة من خطر جســيم علـــى أحـــوال البلاد، فهذه الطائفة قد كلفت البلاد أموالا طائلة في جلبها وشرائها وتربيتهــا وإعدادها والإنفاق عليها، ثم تصفى أعداد غفيرة منها على هذا النحو من عدم المسئولية، وتقدير الأموال من قبل والدة الخليفة.

---

(١) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٦، المقريزى: اتعاظ الحنفــا، حـــ ٢، ص ٢٧٣.

(٢) هي شبرا الجديدة القريبة من مدينة الإسكندرية، وتقع غربى مدينة دمنهور، ويطلق هذا الاسم على أحد أقسام مدينة دمنهور، محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، حـ ٢، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(٣)النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٦، المقريزى: اتعاظ الحنفــا، حـــ ٢، ص ٢٧٣.

والذى يريد أن يطالع حجم الحقيقة يكفيه أن يعلم أن جملة ما تبقى من هذه الطائفة بعد تصفيتهم في المعارك مع الأتراك بلغت نحو خمسة عشر ألفا بين فارس وراجل(١).

كانت التقدمة على جند الأتراك في تلك المعارك لناصر الدولة بن حمدان(٢) ولما أحرز النصر على العبيد قويت نفسه، وعظمت هيبته، وثقلت وطأته، وعاد العبيد للتجمع، وأمرت والدة المستنصر جماعة من عبيدها أن يهاجموا الأتراك، فهاجموهم على حين غفلة، وقتلوا منهم جماعة(٣)، وهكذا تتوالى التصفيات في فتنة العبيد والأتراك.

وما تكاد فتنة طوائف الجند تهدأ حتى تعمد السيدو والدة الخليفة إلى إشعالها نكاية في الأتراك، وهى تهوى بالبلاد إلى حضيض الردى، وإن كان هؤلاء الجند قد تسببوا في كثير من الاضطرابات فإن الأمر كان يستوجب تهدأة الأمور، لا تصعيدها، خاصة وأن هؤلاء الجند والعبيد هم عدة الدولة وذخيرتها.

---

(١) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٣.

(٢) المظفر ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن الحسين بن حمدان، ولى دمشق سنة ٤٣٣هـ، ثم تولى التقدمة على العسكر الأتراك في الاضطرابات التي شهدتها البلاد، حتى حدثت نفرة بينه وبين الأتراك، وانتهى الأمر بقتله في جمع من أهله سنة ٤٦٥هـ، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٣، ص ٨٤.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٣.

كان للأتراك رد فعل تجاه ما قامت به السيدة والعبيد، ونتج عنه زيادة التصفيات بزيادة القتلى، ودارت بينهما حروب شديدة، فقد فر ابن حمدان خارج القاهرة، وتبعه الأتراك، وتأهبوا للقتال، وخرج إليهم العبيد، ودارت بينهما حروب، وكان ابن حمدان قد أقسم ألا ينزل عن فرسه حتى يتم الأمر إما له أو عليه، وكانت الدائرة له على العبيد، حيث وضع السيف فيهم، وتجاوز الحد في قتلهم، وتتبعهم في كل مكان، حتى لم يدع في مصر والقاهرة إلا القليل منهم، وقد تمركزوا بالإسكندرية والصعيد(١).

التجأ العبيد بعد التنكيل بهم إلى الإسكندرية والصعيد، فضيق عليهم ابن حمدان، وحاصرهم حتى طلبوا الأمان، وانطلق ابن حمدان إلى العبيد بالصعيد، ودارت بينهم معارك كانت الدائرة فيها على ابن حمدان فعاد بجموعه إلى المستنصر يلومه على تقوية العبيد، وعاد الأتراك لمحاربة العبيد فحاربوهم وشدوا عليهم وقتل عدد كبير منهم، ولم ينج منهم أحد وزالت دولتهم(٢).

ويحق لنا أن نتساءل أي مصلحة جنتها والدة الخليفة جراء إشعال هذه الفتنة التي راح ضحيتها، وصفى فيها ما يقدر بحوالي خمسين ألفا من العبيد، فضلا عما حاق بالبلاد من فساد واضطراب.

---

(١) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٤.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ص ٢٧٤، ٢٧٦.

وفى سنة ٤٦١هـ تغلب المارقين[١] على الخليفة المستنصر، وهاجموا بيت ماله، واستباحوا ما فيه، وتشددوا في المطالبة بالمقررات الواجبة لهم، فأهلت هذه السنة بالخوف الشديد في مصر لانتشار التشليح[٢] في الطرقات، والخطف والقتل، وصار الجند فرقتين، فرقة مع الخليفة، وفرقة عليه[٣] ثم تجرأ هؤلاء المارقين، وتطور الأمر من المطالبة بالمقررات إلى المصادرة[٤].

كما كثر عصيان بنى قرة على المستنصر لأنه قدم عليهم رجلا منهم يقال له المقرب، فنفروا منه، واستعفوا منه، فلم يعزله الخليفة، فأظهروا العصيان، وأقاموا بالجيزة، وعاثوا بالبلاد فسادا، فسار إليهم المستنصر بجيش، وكثر القتل في جيش المستنصر، وحشد لهم حشودا لما عظم عليه هزيمتهم له، فأدركهم جيشه بالبحيرة، واشتبكوا معهم وكثر القتل في بنى قرة، وعاد جيش المستنصر إلى القاهرة، وتركوا طائفة لترد بنى قرة إذا حدثتهم أنفسهم بالخروج[٥].

وهذه التصفيات مردها إلى عدم استجابة المستنصر لطلب بنى قرة من إعفاء مقدمهم الذى عينه عليهم، دون التفكير في تحقيق ما يرضى رعيته،

---

(١) المارقين: الخارجين في كل شيء، ومنه المارق أي الخارج من دينه، المعجم الوجيز، ص ٥٧٩.

(٢) التشليح: التعرية، المعجم الوجيز، ص ٣٤٩.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٨، إغاثة الأمة، ص ٢٢، ص ٢٣.

(٤) المقريزى: إغاثة الأمة، ص ٢٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ٣٠٣، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢.

فتحولت الأمور إلى الصدام المسلح الذى أسفر عن العديد من التصفيات في كلا الفريقين.

هذا ولم تنته الفتنة بين العبيد والأتراك بتصفية وجود العبيد من البلاد إلى حد كبير، فما كادت الأمور تهدا من ناحية العبيد، حتى ثارت وحشة بين الأتراك من جهة، وناصر الدولة بن حمدان (مقدمهم) من جهة أخرى، وذلك بسبب استبداده بالأمور، وانفراده بها دونهم، وشدة شوكته عليهم، فهالهم ذلك الأمر، وفسدت نياتهم، ونافسوه وحسدوه[1]، وأصبحت الأجواء ملبدة بغيوم مصادمات جديدة، وتصفيات إضافية.

شكت طائفة الأتراك إلى الوزير الخطير[2] ما آل إليه حال ابن حمدان معهم، فقال لهم: إنما وصل إلى هذا بكم، ولولا أنتم لما كان له من الأمر شيء، ولو فارقتموه لانحل أمره، فاتفقوا على أن يكونوا يدا عليه، وأن يحاربوه، وإذا ظفروا به أخرجوه من البلاد، وطلبوا من المستنصر أن يرسل إليه بالخروج من البلاد، فلما أمره المستنصر بذلك سارع إلى مغادرة البلاد[3].

---

(١) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٨.

(٢) خطير الملك محمد بن الوزير أبى محمد الحسن على اليازورى استقر في القضاء والوزارة سنة ٤٦١هـ، وصرف في نفس السنة، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٨٩، ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٤، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢ ص ٢٢٨.

(٣) ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٤، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٨، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٨، عبد المنعم ماجد: ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط٤، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص ٣٢٠.

عاد ابن حمدان خفية إلى القاهرة، واجتمع بالقائد تاج الملوك شادى[١] فتوسل إليه، وقبل رجله، وطلب منه النصرة على الوزير الخطير وعلى إلدكز[٢] ولما سأله شادى عن الحيلة في نصرته، فأخبره أن يعمل على الخلاص منهما في وقت ركوبهما إلى القصر، عند إمكان الفرصة، وشرع شادى في تنفيذ مأ أُبرم بليل، إلا أن الدكز سارع بالدخول على المستنصر في قصره فأمن من المكيدة، أما الوزير الخطير، فأقبل في موكبه ولم يأخذ حذره لعدم علمه بشئ، فأوقع به تاج الملوك وقتله، وحضر ناصر الدولة من فوره، وتقدم إلدكز للمستنصر، ونصحه بالخروج لحرب ناصر الدولة، فدار القتال بينهما، وكانت الغلبة للخليفة، وانهزم ناصر الدولة، وقتل من أتباعه الكثير[٣].

(١) شارك ناصر الدولة بن حمدان في ثورته على المستنصر والأتراك، وناب عنه في القاهرة عندما كان ناصر الدولة في البحيرة لدى بنى سنبس، إلا أنه لم يجر على طريقة ابن حمدان، ابن خلكان: وفيات الأعيان، حـ ١٠، ص ٢٠١.

(٢) أسد الدولة، وهو شيخ الأتراك، والمقدم عليهم، تزوج ابنة ناصر الدولة بن حمدان، وتولى بدر الجمالى قتله عندما ورد إلى مصر، نزولا على طلب المستنصر، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ٣٩٩، ابن ميسر: المنتقى: ص ٦، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٨، ابن الشحنة: روض المناظر، ص ١٩٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٩، محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ٩٥، عبد المنعم ماجد: ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها، ص ٣٢٠.

وبعد أن دارت الدائرة على ابن حمدان فر إلى البحيرة، حيث بنى سبنس[١] واستجار بهم، وأقام فيهم وصاهرهم[٢].

ما وقع من تصفيات جراء الشدة العظمى:

جرت تصفيات عديدة وشنيعة نتجت عن الغلاء الذى وقع زمن المستنصر، وطال أمره وشنع وعظم ضرره، والذى امتد لسبع سنوات، وكان من جملة أسباب تلك الشدة توالى الفتن، واستبداد القواد ومقدمى الجند على الدولة، فضلا عن قصور النيل وعدم الذراع في المناطق التي يشملها الرى وتصلح للزراعة[٣].

كانت بداية الشدة سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م، ونتج عن تعطل الأراضى عن الزراعة وتزايد الغلاء، وحدوث الوباء أن خيفت السبل إلا بالحراسة، أو بالمجازفة وركوب المخاطر[٤] وكأنما هي إحدى حالات التصفية الجماعية بتحديد الإقامة في البيوت من شدة الخوف.

---

(١) بنى سبنس بن عمرو بن الغوث بن طئ، وكانت الرياسة فيهم لإياس بن قبيصة، وهو الذى ملكه كسرى على الحيرة بعد المناذرة، عندما قتل النعمان بن المنذر، وهو الذى صالح خالد بن الوليد على الحيرة، رحلوا عن موطنهم إلى مواضع شتى بعد الإسلام، ومنها إلى مصر، وتحديدا فى الحوف الغربى (البحيرة)، ابن خلدون: العبر، حـ ٥، ص ٥٠٠.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٢٩، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٧٩.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٣٤، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص٢٤.

(٤) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٤.

ومن التصفيات التي نتجت عن تلك الشدة أكل الناس بعضهم بعضا، حتى تحيلوا في ذلك الحيل[١]، وقد تجاوز الأمر مع العامة إلى أكل ما لا يؤكل، حتى ورد أن جاء الوزير راكبا بغلته فأكلتها العامة، فعاقب بعض من اشترك في ذلك بالشنق، فاجتمع الناس على المشنوقين وأكلوهم[٢]، وهذه التصفية التي يوقعها الوزير على العامة، هي أمر مشين في حقه، وفى الوقت الذى يجدر به أن يحاول إيجاد السبل للخروج من هذه الضائقة، يزيد إلى هموم الناس هموما وأوجاعا، بما أقدم عليه من تصفيات.

ومن عجائب التصفيات التي وردت في تلك الشدة، تلك التصفيات التي قام بها والى القاهرة بعد أن أحضره الخليفة، وهدده وتوعده إن لم يظهر الخبز في الأسواق ليضر بن عنقة، فاحتال حيلة لحل الأزمة وخلاص نفسه، فأحضر قوما من الحبس وجب قتلهم، ودفع إليهم ثيابا وعمائم حسنة، وجمع تجار الغلة والطحانين والخبازين، ثم استدعى واحدا ممن جلبهم من الحبس، فدخل في هيئة عظيمة، وأخذ يوبخه ويتهمه بخيانة الخليفة، والاستيلاء على الأموال، وتخريب الأعمال، مما تسبب في عدم الغلال، فاختلت الدولة، ثم أمر بضرب عنقه أمام الحاضرين، ثم أمر بإحضار آخر، وعنفه واتهمه باحتكار الغلة، وامتثال غيره به في هذا الأمر حتى هلك الناس وأمر به فضربت رقبته، فلما

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٦، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٣٣، ابن الشحنة: روض المناظر، ص ١٩٥، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٢٩٦، ٢٩٧، إغاثة الأمة، ص ٢٤، ص ٢٥، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية تفسير جديد، ص ١٤٠.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص٢٥.

استدعى الثالث قام إليه تجار الغلال والطحانون والخبازون، وقالوا: أيها الأمير في بعض ما جرى كفاية، ووعدوا بإخراج الغلال وطحنها، وتعمير الأسواق بالخبز، ونبيع الخبز رطلا بدرهم، فرفض لارتفاع قيمته، وقال ما يقنع الناس منكم بهذا، فقالوا رطلين بدرهم، فوافق بعد توسل، فكان في ذلك ما تدارك الناس حتى عم النيل وهدأت الفتنة(١).

وهذه من الحيل السديدة التي استطاع الوالى أن يتلافى بها أحوال العباد، لكنه لم يتفتق ذهنه عنها إلا بعد أن أصبحت حياته هو شخصيا مهددة بالقتل، وإلا فلماذا تأخر في إعمال عقله لإيجاد حل يتدارك به الناس من الغلاء والجوع والوباء.

وفى سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م تطورت أمور ناصر الدولة، وركبه الغرور، وظن أنه بلغ مأمنه، وكان يفكر في إزالة الدولة الفاطمية عن مصر، وإقامة الدعوة للعباسيين، فاجتمع أمر الأتراك على مبادرته قبل تحقيق ما يرنو إليه، وكان قد بلغ مبلغا عظيما من التجبر حتى هزم جند المستنصر، وقطع الميرة عن القاهرة، واستبد بالوجه البحرى، فصالحه الأتراك والمستنصر لما ألم بهم من قطع الميرة، وما كادت الأمور تنصلح بينهم حتى تغير إلى حالة بالغة من السوء(٢).

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص٢٧، عبد المنعم عبد الحميد سلطان: الأسواق في مصر في العصر الفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ١٣٥، ص ١٣٦.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٣٠، ص ٢٣١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣٠٩.

قبض ناصر الدولة على والدة المستنصر، وعاقبها وأخذ أموالها، وتفرق عن المستنصر جميع أقاربه وأولاده، ومضوا إلى المغرب والعراق(١)، وبخروج أبناء المستنصر من البلاد، والقبض على والدته – المحرك الرئيسى لكثير من التصفيات في الفتنة السابقة– تمت تصفية وجودهم من مصر، وانتهى إلى حين تدخل النساء في شئون الحكم والسياسة، التي كانت مقدمة لهذه الانتكاسات التي هوت بالدولة على عهد المستنصر.

ولفرط قوة وسطوة ناصر الدولة ترك الاحتراس، فتعاقد الأتراك على قتله، فدخلوا عليه بمنازل الغر(٢) فقتلوه واحتزوا رأسه، وكان إلدكز هو متولى قتله، وقتل أخوته فخر العرب، وتاج المعالى، وجماعة من أهل بيته، وانقطع ذكرهم من الديار المصرية(٣).

---

(١) ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ٤٠٠، ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٨، عبد المنعم ماجد: ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها في مصر، ص ٣٢٣.

(٢) دار أنشأتها السيدة تغريد أم العزيز بالله، وهى تشرف على النيل اتخذها الخلفاء الفاطميون متنزها، وسكنها ناصر الدولة إلى ان قتل، وعندما قدم صلاح الدين إلى مصر سكنها الأمير تقى الدين عمر، ثم اشتراها من بيت المال وبناها مدرسة للشافعية، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٣٢، المقريزى: المواعظ والاعتبار، م٢، حـ ٤، ص ١٩٤، ص ١٩٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، م٨، ص ٣٩٧، ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٨، ص ٣٩، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٣٢، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٠، محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ٩٨، عبد المنعم ماجد: ظهور الدولة الفاطمية، ص ٣٢٤.

وهكذا كانت عاقبة من مكر ودبر وتآمر، وأقدم على التصفية دون وازع، فذاق عاقبة بغيه سواء كان ابن حمدان أو والدة المستنصر بالله.

ثم تمت تصفية الوزير ابن العجمى[١] وقد ولى الوزارة عدة مرات، آخرها في ظل ضعف الدولة، وعدم الرقيب، فتنكب له تاج الملك شادى عند خروجه من داره إلى القصر، وقتله سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م[٢]. وإذا كانت عادة أرباب الدولة قد جرت على الحقد والمنافسة على المناصب – في حال قوة البلاد – فلم نرهم يعدلون عن هذه السياسة في ظل ضعفها وتلاشى أسبابها.

وبعد هذه المحن والخطوب كانت وزارة بدر الجمالى[٣] التي استهلها بسلسلة من التصفيات، التي رآها ضرورية لاستقامة أمور مصر، وما إن دخلها حتى تلقاه أعيان الدولة، وأكرموه، وأخبرهم أنه ما أتى إلا شوقا إليهم،

---

(١) أبو غالب عبد الظاهر بن فضل المعروف بابن العجمى، كان جده من دعاة الدولة الفاطمية، وكان ذا جرأة وإقدام، ولى الوزارة عدة مرات، قتل سنة ٤٦٥هـ، قتله تاج الملوك شادى. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٨٩، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٠.

(٢) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٨٩، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٠.

(٣) أرمنى من جملة مماليك أبى الحسن على بن عمار صاحب طرابلس، كان شديد البطش عالى الهمة، تدرج في الخدم إلى أن ولى دمشق مرتين، وفى الثالثة قام عليه أهل البلد وعسكرها فخرج منها واستقر في عكا، إلى ان استدعاه المستنصر لتلافى أمور مصر، فدخل مصر سنة ٤٦٦هـ، ورد إليه المستنصر أمور البلاد، وتوفى سنة ٤٨٧هـ، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٩٤: ص ٩٧، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدولة المنقطعة، ص ٧٦.

ولم يذكر المستنصر إلا بكل سوء، وبينما يقوم هو بخداع قادة وجند مصر، إذ بجنوده يدخلون مصر فرادى وجماعات، هو في ضيافة أعيان مصر، ثم عزم على استضافتهم لتنفيذ ما انطوى عليه صدره، فقدموا عليه وقضوا يومهم عنده، وقد رتب لكل واحد منهم غلاما من غلمانه موكل بقتل من يعينه له، على أن يصير كل ما في ملك المقتولين للغلمان، فلما ضرب عليهم الليل سرادقه، خرج الغلمان إليهم، فقتل كل واحد منهم الموكل به، وأتى برأسه، وعند الصباح تكاملت الرؤوس بين يدى بدر، ووضع الغلمان أيديهم على ممتلكاتهم.

وليس الأمر مستغربا لهذه التصفيات الجماعية، التي شملت عددا كبيرا من أعيان قادة الدولة، فقد جرت سوابق الأيام بمثلها، ولعل الجمالى أدرك أن بقاء هذه الجملة التي شاركت في أعمال الفساد قبل ذلك لا يمكنه من إصلاح أحوال مصر، ويؤخذ عليه جرأته على سفك الدماء على هذا النحو، فلربما وجد من التصفيات ما هو أقل حدة ووحشية مثل الحبس والنفى.

وبعد أن استقامت الأمور لبدر الجمالى، ولم ينازعه منازع، أقدم على مجموعة من التصفيات في مقدمتها تصفية الوزير بن أبى كُدينة[1] وكان وزير المستنصر عند قدوم بدر الجمالى، وتردد بين القضاء والوزارة، إلا أن سيرته

(١) أبى محمد الحسن من ثقة الدولة مجلى بن أسد بن أبى كدينة المرادى، تردد بين الوزارة والقضاء، وتولى الوزارة خمس مرات، وكان سيئ الخلق، قاسى القلب، ويقال أنه من ولد عبد الرحمن بن ملجم – عليه لعنة الله – قتله بدر الجمالى بدمياط، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٩٠.

لم تكن محمودة، فكان قاسى القلب، سيئ الخلق، قبض عليه الجمالى، وسيره إلى دمياط مع ولده، حيث قتلا بها، وكان من أمر تصفيته عجبا، حيث دخل عليه السياف ليضرب عنقه، فكان سيفه كليلا[١] فضُرب به عدة ضربات، يقال إنها بعدد ولايته للقضاء والوزارة[٢].

كما تمت تصفية الوزير أبو المكارم أسعد[٣] الذى ولى الوزارة مرتين، وصرف سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م، وقتله بدر الجمالى بعد وصوله إلى مصر[٤]، كما تمت تصفية أبى غالب[٥] في جملة من تمت تصفيتهم من أعيان الدولة[٦]، وأيضا صفى الوزير ابن الضيف[٧] وكان من جملة خدام الوزير اليازورى، وكان يناديه باسمه دون كناية، ثم ترقت به الخدم حتى ولى الوساطة، ثم نفاه أمير الجيوش إلى الشام ثم إلى تنيس، وقتل بها[٨].

---

(١) كليل أي ضعيف، المعجم الوجيز، ص ٥٤٠.

(٢) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٨٩، ص ٩٠، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٨٠، ابن ميسر: المنتقى، ص ٤٠، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٣.

(٣) أبو المكارم المشرف أسعد من عقيل من صنائع الوزير أبى الفرج البابلى، ولى الوزارة دفعتين، وكان صرفه سنة ٤٥٦هـ، ثم قتله الوزير بدر الجمالى بعد وصوله إلى مصر. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٩٠.

(٤) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٩٠، ابن ميسر: المنتقى، ص ٤١.

(٥) أبو شجاع محمد الأشرف أبى غالب محمد بن على، من وزراء المستنصر، وكان في جملة من قتل من أماثل المصريين في وقت الفتن، ابن ميسر: المنتقى، ص ٤١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٣.

(٦) ابن ميسر: المنتقى، ص ٤١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٣.

(٧) عبد الغنى بن نصر بن سعيد بن الضيف، كان يخدم الوزير اليازورى، ترقت به الأحوال حتى ولى الوساطة، قتله بدر الجمالى بعد أن جاء إلى مصر، ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٩٤.

(٨) ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٩٤، ابن ميسر: المنتقى، ص ٤١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٣.

وقد عبرت بعض المصادر عن تلك التصفيات، بأن بدر الجمالى أقدم على قتل جملة من أماثل المصريين وقضاتهم ووزرائهم [١]، فلم تكن تصفياته قاصرة على مثيرة الفتن والاضطرابات، إنما شملت أعيان الدولة من قضاة ووزراء، كأنما أراد أن يعفى الآثار القديمة ليقيم ما هو أصلح منها.

لم تؤد كل هذه التصفيات التي قام بها بدر الجمالى استقرار الأحوال بكافة ربوع مصر، حيث ثارت عليه عدة جبهات، تطلبت تهدئتها العديد والعديد من التصفيات، ومن ذلك ما كان سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م، حيث سار بدر الجمالى إلى الوجه البحرى، وأوقع بقبيلة لواته[٢] وقتل مقدمهم وأسرف في قتلهم، حتى حتى يقال إنه قتل منهم عشرين ألف، وسار إلى دمياط، وقتل كثير من المفسدين بها، ولم يدع بأسفل مصر مفسدا إلا قتله، ثم اتجه إلى البر الغربى، فقتل كثير من المفسدين هناك، ثم حاصر الإسكندرية، وفتحها قهرا، وقتل كثير من المفسدين بها، ولم يتعرض لأهل البلد، كما قتل كثير من جند مصر ممن يبدو منهم الفساد[٣].

كانت قبيلة لواته قد استبدت ببعض الأعمال، وهو ما يضر بهيبة الدولة التي أصبح زمامها بيده، ولا يستقيم ظهور مستبد أو معاند في ظله، فاستخلص منهم ما كان بأيديهم، وجعل أعداء الدولة بين قتيل وشريد، فكانت التصفيات على قدر من الكثرة في حين أمّن الرعايا، ولم تمتد يده إليهم.

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ٤٠.

(٢) لواته إحدى قبائل العرب الفجور البرابرة، ومن بطونها زناتة، ومنهم بأرض مصر والصعيد كثير. ابن خلدون: العبر، حـ ٦، ص ٤٢، ص ٤٣، ص ٤٨.

(٣) ابن الصيرفى: الإشارة، ص٩٦، ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص٧٦، ابن ميسر: المنتقى، ص٤١، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ٢،ص ٣١٤، محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص٩٩.

وفى سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م احتشد بمدينة طوخ[١] جماعة من عرب جهينة[٢] والثعالبة[٣] والجعافرة[٤] لحرب أمير الجيوش، فحشد حشوده، وانطلق إليهم، ووضع السيف فيهم، فأفناهم وجعلهم بين قتيل وغريق.

وفى نفس العام ثار كنز الدولة محمد[٥] واستفحل أمره بأسوان، وكثر

(١) يوجد بمصر عدة مواضع يقال لها طوخ مضافة إلى اسم آخر، وهى قرية بصعيد مصر غرب النيل، من الأعمال القوصية، يقال لها طوخ دمنو، محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، حـ ٤، ص ١٨٧.

(٢) جهينة: من قبائل الحجاز العظيمة، تمتد منازلها على الساحل من جنوب دير بلى حتى ينبع، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم العافى بن قضاعة، وفى هذا الحى بطون كثيرة، انتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وغلبوا على بلاد النوبة، وهى أكثر عرب الصعيد، سلطان طريخم المذهن السرحانى: جامع أنساب قبائل العرب، الإسكندرية، ١٩٧٥م، ص ٤٩، ص ٥٠.

(٣) بنو ثعلبة بن الإمام الحسن، وبنى جعفر الطيار، فأما التي في بنى جعفر فبنو ثعلبة الحجازى، فيهم عشيرة إلى اليوم بأعمال سيوط بمصر، ومنهم نازلون بسدرة العربان في الأشمونين بصعيد مصر، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٦.

(٤) الجعافرة بنو جعفر الطيار بن على بن أبى طالب، هاجروا إلى مصر ما بين أواخر القرنين الثالث والرابع الهجريين، وكان عدة بطون منهم تنزل بأرض الأشمونين، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص٣١٦، عبد الله خورشيد البرى: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١١٤.

(٥) كنز الدولة لقب مُنح أول مرة أيام الحاكم بأمر الله لأمير أسوان أبى المكارم هبة الله، بعد انتصاره على أبى ركوة، ثم أصبح هذا اللقب وراثيا في أسرة أبى المكارم، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٦.

أتباعه فسار إليهم بدر الجمالى، واشتبك معهم في حرب طال أمرها، وتمخضت عن هزيمة كنز الدولة، وقتله في جمع غفير من أصحابه(١).

وإذا ما طالعنا وتابعنا الفتن والثورات والاضطرابات التي عمت أرجاء مصر، لا نجد غرابة في كثر التصفيات التي قام بها بدر الجمالى، وذلك مخافة أن يطمع بالبلاد طامع، أو يجر الخارجين من داخلها أخطارا خارجية لا قبل له بها.

خرج على أمير الجيوش بدر الجمالى عرب قيس(٢) وسليم(٣) وفزارة(٤)، فخرج إليهم، وقاتلهم وهزمهم، وطردهم إلى برقة(٥) فاكتفى بتصفيتهم بالنفى، ولا أدرى لأى سبب عدل عن التصفية الجسدية التي دأب عليها، منذ ولجت أقدامه مصر، فربما أنفت نفسه من القتل لكثرة ما مر به من تصفيات، أو لأنهم لم يكن لهم جرم يستحقوا عليه القتل.

---

(١) النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٣٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، حـ ٢، ص ٣١٦.

(٢) القيسية: شعب عظيم من مضر ينسب إلى قيس عيلان، واسمه الناس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وغلب اسم القيسية على سائر العدنانية، سلطان طريخم المذهن السرجانى: جامع أنساب قبائل العرب، ص ١٢١.

(٣) سليم: إحدى قبائل مضر العظيمة، وهم بنو سليم بن عكرمة بن خصيفة بن قيس عيلان، كانت ديارهم واسعة، وقبائلها متعددة، وهاجرت بنو سليم إلى أفريقية، وكونوا ديارا حول برقة قرب حدود مصر، وكانت أولى هجراتها في القرن الخامس، سلطان طريخم الذهن السرحانى: جامع أنساب قبائل العرب، ص ٨٠.

(٤) أفراد هذه القبيلة كلهم من كبار الموظفين، وابن يربوع الفزارى أول عربى ولى ديوان مصر، بعد تعريبه، وأصل ابن يربوع من مصر، ولم يكن لهم بمصر عصبية، عبد الله خورشيد البرى: القبائل العربية في مصر، ص ١٢٩.

(٥) ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٧٦، ابن ميسر: المنتقى، ص ٤٤، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٣٨.

وفى سنة ٤٧٧هـ / ١٠٤٨م خرج الأوحد ابن أمير الجيوش على والده، واجتمع معه جمع من العربان وغيرهم، فاستولى على الإسكندرية، فسار إليه أمير الجيوش وحاصره بها وفتحها، وكانت هذه نهاية العهد بالأوحد[١] وكان الأوحد قد واطأ أربعة من الأمراء على قتل أبيه لينفرد بالملك، فوشى به خادم بعض الأمراء، أخذ الأربعة وضرب أعناقهم وصلبهم، وعفى أثر ولده، فقال قوم قطع عنه القوت حتى مات، وقال قوم غرقه، وقال قوم دفنه حيا[٢].

وهذه التصفية من الجمالى لابنه من التصفيات التي تنفر منها القلوب والعقول على السواء، فرغم كونه أب لا تنكر فيه عاطفة الأبوة فكيف يزن بهذه العاطفة معالى الأمور بالغا ما بلغت عظمتها، وهى تصفية تدل على قسوة مشاعره.

ومما ورد على لسان بدر الجمالى حول تصفيات العلماء قوله: إن العلماء أعداء هذه الدولة، لأنهم ينبهون العوام على ما يقولونه[٣]، وهكذا في كثير من العصور يشقى أهل العلم بعلمهم، ويلاقون عاقبة العلم في دنياهم تصفية لا مكافأة وتكريما.

وبعد فهذه جملة التصفيات التي شهدها العصر الفاطمى الأول، وختم هذا العصر بتصفيات بدر الجمالى التي أعادت الاستقرار، وقطعت دابر المفسدين إلى أن تتبدل الأحوال، ويجد ما يعكر صفوف الدول والأيام.

---

(١) ابن ظافر الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٧٧، النويرى: نهاية الأرب، حـ ٢٨، ص ٢٣٨.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٦، ص ٢٤١، ص ٢٤٢.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، حـ ١٦، ص ٢٤٢.

وبعد، هذا عرض لما تم التوصل إليه من خلال هذا البحث:

تكشف وسائل التصفية التي شهدها العصر الفاطمى الأول السمات اللازمة لكل فترة حكم، وما أحاط بها من ظروف، فضلا عما بينه من سمات شخصية لكل خليفة، حيث انطبعت سماته فيما وقع في عهده من تصفيات، وقد ارتبطت كثرة التصفيات وحدتها بعدة أمور منها:

- المرور بمرحلة تأسيسية للدولة، تتطلب الضرب بيد من حديد على يد كل من تسول له نفسه نقض ذلك البينات الذى اجتهد الفاطميون في بنائه، ولاقوا فيه ألوانا من الأهوال.

- أمن الدولة واستقرارها، وهى غاية تصغر أمامها كل غاية، وإن امتد الأمر للدماء في بعض الأحيان.

- تكالب الأعداء على الدولة، وعند ذلك لا يحمل حكامها لهم سوى التصفية، وإن كانت التصفية الجسدية هي السمة الغالبة لحكام الدولة الفاطمية.

- الحالة المزاجية المضطربة لبعض حكام ذلك العصر (الحاكم بأمر الله) وكان كثير سفك الدماء لسبب ولغير سبب، فضلا عن التصفيات لأسباب واهية، وعدم التحقق من كثير من الوشايات، والأخذ بالظنة والشبهة، والرفع والخفض لمقادير الناس، حتى امتدت يده بالتصفية لحريمه وعبيده والمقربين إليه، وبعض العوام.

- ارتبطت حالات التصفية بالحكم الاستبدادى في كثير من الأحيان (حكم الفرد المطلق) وكان هذا مما عظمت به البلية.

- ارتبطت كثير من التصفيات بالحروب والاضطرابات والفتن، وهذا أمر طبيعى، فإن لم تكن التصفيات الجسدية في المعارك الحربية فأين ستكون!.

- أصبح من المألوف في بعض فترات العصر الفاطمى الأول أن تُحز رؤوس الذين تمت تصفيتهم وتودع في خزانة خاصة بها، حتى إن العرف سار جاريا بذلك.

- اشتركت بعض سيدات البيت الفاطمى، وأدلين دلوهن في قضية التصفية، فكان منهن من تقدم على التصفية خوفا من عاقبة سوء السياسة، كما حدث مع سيدة الملك أخت الحاكم، حفاظا على ملك آبائها، وحرصا على العلاقة بين البيت الحاكم والرعية، فضلا عن القوى المحيطة.

- وهناك من أقدمت على التصفيات من منطلق قوتها وسطوتها، وتحديها لبعض أعيان الدولة وبغضها للبعض الآخر (السيدة والدة المستنصر بالله) وقد تجاز الأمر الحب والبغض لأعيان الدولة إلى إثارة طوائف الجند والعبيد، انحيازا للعبيد، وتلك الطائفة التي تنسب إليها، فهوت بالبلاد إلى حضيض الاضطراب والفقر، فكانت عاقبتها على يد بعض من ذاق سوء تدبيرها.

- الرغبة الاستبدادية لبعض الوزراء في القضاء على منافسيهم، لسبب أو لغير سبب حتى تخلو الساحة لهم، وكان سبيلهم في ذلك السعاية والوشاية لدى الخلفاء، فضلا عن استغلال بعضهم لضعف الخلفاء، وسوء أحوال البلاد، كبدر الجمالي الذى أقدم على تصفية كثير من طوائف الجند، وكذا الأعيان والعلماء، من أماثل المصريين، حتى تخلو له الساحة، وظهرت شخصيته

الاستبدادية، التي سيستن بها من أتى بعده من الوزراء، ودماء من قاموا بتصفيتهم تشهد على ذلك.

أما الفترات التي شهدت قلة في حالات التصفية في ذلك العصر، فلم تخل من بعض الأمور:

- استقرار أمور الدولة، وتثبيت دعائمها.
- غلبة صفة التسامح والعفو لدى شخصيات الخلفاء الذين عزفوا عن التصفيات بشتى أنواعها (العزيز بالله) حتى نراه في كثير من الأحيان يتفوق على أعدائه بتحويلهم إلى أصدقاء مقربين.
- انغماس بعض الخلفاء في اللهو واللعب والملذات (الظاهر لإعزيز دين الله) فلم يكونوا يعبأون بمثل هذه الأمور، تاركين زمام الحكم لغيرهم.

أما عن الجهات التي كان لها صلاحية إصدار قرار توقيع التصفية فقد كانت قاصرة على الخلفاء، بعض سيدات البيت الفاطمي، وبعض الوزراء، بعض الجند، وبعض العامة.

ملحق (١)

جدول يوضح حالات التصفية على عهد خلفاء

الدولة الفاطمية في العصر الفاطمى الأول

اسم الخليفة الفاطمى	الموقع عليه التصفية	طريقة التصفية
المعز لدين الله الفاطمى (٣٦٢- ٣٦٥هـ / ٩٧٢-٩٧٥م)	**تبر الإخشيدى**	**جرح / سلخ / صلب / ضرب أشلاء**
	بعض الكافورية والإخشيدية	**الحبس – ضرب عنق – صلب**
	الحسن بن ضغج الإخشيد	**نفى**
	جماعة من المفسدين	**ضرب الأعناق**
	محمد الرسى	**السجن مقيدا**
	بعض الجند الإخشيدية	**الاعتقال**
	عبد الله بن عبيد الله الحسينى	**الحبس – الهروب**
	جماعة من السعاة	**الحبس**
	أسارى القرامطة	**ضرب الأعناق**
	بعض أشراف الصعيد أتباع عبد الله الحسينى	**ضرب العنق**
	ابن النابلسى	**التشهير – الضرب بالسوط – السلخ – حيا – القتل –**

		الصلب
العزيز بالله ٣٦٥ – ٣٨٦هـ / ٩٧٥ – ٩٩٦م	أفتكين غلام معز الدولة البويهى	السم
	متولى أسوان من كتامة	ضرب العنق
	جعفر بن محمد بن أبى الحسن الصقلى	توليه على جزيرة صقلية
	عيسى بن مسطورس النصرانى	العزل عن ولاية الدواوين
	منشا بن إبراهيم الفراد اليهودى	العزل عن ولاية الدواوين
	أحد التجار الواردين النازل بقيسارية الإخشيد	ضرب العنق
	أبو الحسن على بن عمر العداس متولى الوساطة	الاعتقال
	أسرى الروم	ضرب العنق
	بعض النهابة الذين نهبوا الأسطول	الحبس
	الحسن بن بشر الدمشقى الشاعر	ضرب العنق
الحاكم بأمر الله ٣٨٦هـ / ٤١١هـ / ٩٧٥ – ١٠٢٠م	سيدة الملك بنت العزيز	تحديد الإقامة
	عيسى بن نسطورس متولى الوزارة	ضرب العنق
	بعض الجند من الأتراك والمغاربة فترة وساطة بن عمار	القتل في المعارك
	ابن عمار الواسطة	الاختباء ببعض دور

		العامة، تحديد الإقامة بداره – ضرب العنق.
	بعض النساء الموجودين بحمام الذهب	القتل بتحمية الحمام عليهن
	جماعة وجدت عندهم الملوخية	ضرب العنق
	برجوان الخادم	ضرب العنق – حز الرأس
	بعض الحريم	الخطف
	رجل من أهل الشام ادعى عدم المعرفة بعلى بن أبى طالب	ضرب العنق والصلب
	سعيد بن سعيد الفارقى مؤدب الحاكم	الضرب بالسيوف
	بقالا ترقى تولى الحسبة	قطع اليد واللسان – التشهير على جمل – ضرب العنق
	فهد بن إبراهيم النصرانى متولى تدبير الأمور بعد برجوان	ضرب العنق وحز الرأس
	أبو غالب أخو فهد بن إبراهيم	ضرب العنق – الإحراق بالنار
	الحسن بن عسلوج	ضرب العنق – الإحراق بالنار
	ابن النحوى متولى أمور الشام	ضرب العنق

	ابن العداس متولى التدبير في مصر	ضرب العنق
	ابن أفلح	القتل
	ريدان الصقلبى	ضرب العنق
	بعض رجال بنى قرة	القتل
	المنجم العكبرى صاحب الرصد الحاكمى	ضرب العنق
	المنجمين بالديار المصرية	الطرد
	مقداد بن حسن كتاب جوهر الصقلى	ضرب العنق / الإحراق بالنار
	الأمير عبد الأعلى بن هاشم بن المنصور	الضرب بالسيف / حز الرأس
	ندماء عبد الأعلى بن هاشم بن المنصور	القتل / الإحراق بالنار
	القائد البازيار	ضرب العنق
	بعض الأحداث المتنافسين بالقفز أمام الخليفة	السقوط من أعلى على الصخور
	القاضي الحسين بن النعمان	ضرب العنق / الإحراق بالنار
	بعض المتظلمين إلى القاضي الحسين بن النعمان	الموت متأثرا من شدة الضرب
	سهل بن يوسف بن كلس	ضرب العنق
	أبو ركوة	التشهير – ضرب

		العنق – حز الرأس
	بعض جنود قبيلة بنى قرة	القتل في المعارك
	بعض جنود الجيش الفاطمى	لم يوقف لهم على خبر
	رجل من العامة يسب السلف الصالح	ضرب العنق
	جماعة من العامة خرجوا من ديارهم قبل موعد الصلاة	الاعتقال
	بعض الخدام والكتاب	قطع الأيدى – القتل
	القائد الفضل بن صالح	ضرب العنق
	جماعة اجتمعوا بدار العلم بعد الأمر بإغلاقها	القتل – الاختفاء
	رجل صلى صلاة التراويح في رمضان	القتل
	أصحاب الأخبار	القتل
	كثير من الخدام والفراشين والكتاب	القتل
	الروذبارى	ضرب العنق
	غالب بن هلال متولى الشرطة والحسبة	ضرب العنق
	بنى المغربى	قتل البعض وهرب أبو القاسم بن حسين المغربى
	بنى القشورى	الحبس – ضرب

		الرقبة
	ابن عبدون النصرانى	ضرب العنق
	جماعة من الباعة باعوا النبيذ	الاعتقال
	القائد حسين بن جوهر	ضرب العنق
	القاضي عبد العزيز بن النعمان	ضرب العنق
	أبى على بن صالح أخو الفضل بن صالح	ضرب العنق
	أبو يعقوب بن نسطاس الطبيب	الغرق
	كثير من الخدام والكتاب والعامة والرؤساء والنساء	القتل
	جماعة من العامة تلعب الشطرنج	الحبس
	أهل الذمة (يهود ونصارى)	الإبعاد إلى بلاد الروم
	بعض النساء	الحبس
	امرأة خرجت لمقابلة من تهواه	الحرق للمرأة والضرب بالسوط للرجل
	بعض النساء والعجائز	التغريق في النيل
	القاضي مالك بن سعيد الفارقى	ضرب العنق
	الحسن بن طاهر الوزان	ضرب الرقبة
	الحسين وعبد الرحمن ابنا أبى السيد	القتل

	الفضل بن الفرات الوزير	القتل
	كثير من مدعى إلهية الحاكم	قتلوا ضربا بيد العامة / قتلهم الجنود.
	الفرغانى مدعى إلهية الحاكم	قتله بعض العامة
	قاتل الفرغانى	أمر بقتله الحاكم
	أربعون رجلا من المعتدين على أصحاب الزوزنى	أمر بقتلهم الحاكم
	الدرزى مدعى إلهية الحاكم	قام الحاكم بتهريبه
	كثير من حريم مصر	الخطف بواسطة العبيد
	الوزير على بن جعفر بن فلاح	القتل
	الواسطة صاعد بن عيسى بن نسطورس	القتل
	ركبا يحمل الحربة للحاكم	القتل وشق البطن
	تاجر مصري أنكر وديعة لرجل مغربى	القتل والتعليق بالرجل
	على بن أبى الرداد المقياس	اعتقال
	الشيخ العميد محسن بن بدواس متولى بيت المال	الاعتقال ثم ضرب العنق
	أبو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامة	الاعتقال

	قاضى سفط	قتل
	بعض النهابة	ضرب العنق
	كتامى سرق حمارا محملا دقيقا	ضرب العنق
	بعض الأتراك في فتنة بين الأتراك والمغاربة	القتل
	أبو هاشم العباس بن داود بن عبد الله المهدى	القتل
	عبد الرحيم بن إلياس بن أبى على بن المهدى	السم
	كثير من أتباع مذهب تأليه الحاكم	القتل والصلب
الخليفة المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٤-١٠٩٤م)	سكين شبيه الحاكم وأتباعه	القتل – الأسر – الصلب
	ابن الأنبارى صاحب الوزير الجراجرائى	القتل
	أبو سعيد الترسترى	قطعه الجنود الأتراك
	الوزير الفلاحى	الاعتقال والقتل
	خليفة التسترى في مجلس القضاء	بعض الخصوم خرق بطنه بسكين
	أبو البركات الجرجرائى	النفى إلى صور
	الوزير اليازورى	النفى إلى تنيس وضرب العنق
	الوزير أبو الفرج البابلى	الاعتقال وتحديد

		الإقامة
	بعض الأتراك والمغاربة في الفتنة التي وقعت بينهما	القتل
	الوزير التنيسى	القتل
	ابن زنبور	الهروب
	بعض العبيد والأتراك	القتل
	العبيد بالإسكندرية والصعيد	القتل
	بعض رجال قبيلة بنى قرة	القتل
	الوزير الخطير بن اليازورى	القتل
	تصفيات متنوعة جراء الشدة العظمى	تحديد الإقامة – الشنق – القتل
	أبناء المستنصر وأقاربه	الهجرة إلى العراق والمغرب
	ناصر الدولة بن حمدان وأخوته	القتل، حز الرأس
	الوزير ابن العجمى	القتل
	قادة الجند في مصر	القتل وحز الرأس
	الوزير ابن كدينة	ضرب العنق
	الوزير أبى المكارم أسعد	القتل
	الوزير ابن الضيف	القتل

	بعض رجال قبيلة لواته	القتل
	بعض رجال قبيلة عرب جهينة	القتل
	بعض رجال قبائل الثعالبة والجعافرة	القتل، التغريق
	كنز الدولة محمد	القتل
	بعض رجال قبائل قيس، سليم، فزارة	القتل

قائمة المصادر والمراجع

أولا : قائمة المصادر:

١- ابن أبى جرادة: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة

- بغية الطلب في تاريخ حلب، حـ ٥، تحقيق سهيل ذكار، دار الفكر، د.ت.

٢- ابن الأثير: عز الدين أبى الحسين على بن محمد الجزرى (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

- الكامل في التاريخ، م٧، م٨، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٣- ابن الأخوة: محمد محمد بن أحمد القرشى (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م)

- معالم القربة في أحكام الحسبة، نقل وتصحيح روبن ليوى، مطبعة دار الفنون، كمبردج،١٩٣٧م.

٤- ابن تغرى بردى: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت٨٧٤هـ / ١٤٠٧م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، حـ ٤، وزارة الثقافة والإرشاد، د.ت.

٥- ابن الجوزى: أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حـ ١٥، حـ ١٦، تحقيق محمد عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٦- ابن حجر العسقلانى: شهاب الدين أحمد بن محمد العسقلانى (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)

- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق على محمد عمر، ط. الأولى، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٧- ابن حماد: أبى عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م)

- أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامى نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، د.ت.

٨- ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، حـ ٤، حـ ٥، حـ ٦، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٩- ابن خلكان: أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حـ١، حـ ٥، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٠-ابن الراهب: أبى شاكر بطرس بن أبى الكرم بن المهذب (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)

- تاريخ ابن الراهب، عنى بنشره الأب لويس شيخو اليسوعى، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٣م.

١١- ابن الشحنة: محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م)

- روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهنى، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٢- ابن الصيرفى: أمين الدين ابى القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب (٥٤٢هـ / ١١٤٧م)

- الإشارة إلى من نال الوزارة، ط. الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

١٣-ابن ظافر الأزدى: جمال الدين على بن ظافر (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م)

- أخبار الدول المنقطعة، دراسة للقسم الخاص بالفاطميين، تقديم أندريه فريه، مطبوعات المعهد العلمى الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢م.

١٤-ابن القلانسى: حمزة بن أسد بن على بن محمد أبو يعلى التميمى الدمشقى (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)

- ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المثنى ، بغداد، د.ت.

١٥-ابن مماتى: الأسعد بن مماتى الوزير الأيوبى (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)

كتاب قوانين الدواوين، جمع وتحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

١٦-ابن ميسر: تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م)

- المنتقى من أخبار مصر، انتقاه أحمد بن على المقريزى، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت.

١٧-أبى القاسم الشافعى: أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعى (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)

- تاريخ مدينة دمشق، حـ ١١، تحقيق محب الدين ابى سعيد عمر العمرى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٨-الأنطاكى: يحيى بن سعيد الأنطاكى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٧م)

- تاريخ الأنطاكى المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق عمر عبد السلام، لبنان، ١٩٩٠م.

١٩-الدوادارى: أبى بكر عبد الله بن أيبك الدوادارى (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)

- كنز الدرر وجامع الغرر، حـ ٦، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ١٩٦١م.

٢٠-الروحى: على بن أبى عبد الله بن محمد بن أبى السرور بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الروحى

- بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء، تحقيق عمار أحمد هلال وآخرون، راجعه أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢١-سبط بن الجوزى: شمس الدين أبى المظفر يوسف بن قزاوغلى بن عبد الله البغدادى (ت ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م)

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق حنان خليل محمد، بغداد، ١٩٩٠م.

٢٢-السيوطى: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، حـ ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٢٣-الشيزرى: عبد الرحمن بن نصر الشيزرى (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م)

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر السيد الباز العرينى، إشراف محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م.

٢٤-القلقشندى: أبى العباس أحمد القلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، حـ ٤، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ / ١٩٠٤م.
- حـ ١٠، علق عليه محمد حسين شمس الدين، ط. الأولى، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٢٥-ليون الأفريقي: الحسن بن محمد الوزان الفاسى (ت ٩٦٢هـ / ١٥٥٤م)

- وصف أفريقيا، ترجمة محد حجى ومحمد الأخضر، ط. الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٦-الماوردى: أبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادى، ط. الأولى، الكويت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٢٧-مجموعة الوثائق الفاطمية:

- وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، جمع وتحقيق ونشر جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٢٨-المقريزى: تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، حـ ١، حـ ٢، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. الثانية، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

- المقفى الكبير، تراجم مغربية ومشرقية، تحقيق محمد اليعلاوى، ط. الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط. الثالثة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مجلدان، أربعة أجزاء، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت

٢٩-النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)

- نهاية الأرب في فنون الأدب، حـ ٢٨، تحقيق محمد محمد أمين، محمد حلمى محمد أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٣٠-الهمدانى: محمد بن عبد الملك الهمدانى (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م)

- تكملة تاريخ الطبرى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٣١-ياقوت الحموى: شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

- معجم البلدان، م٣، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

ثانيا: قائمة المراجع

١- أيمن فؤاد سيد:

- الدولة الفاطمية تفسير جديد، ط. الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٢- سلام شافعى:

- أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمى الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣- سلطان السرحانى: سلطان طريخم المذهن السرحانى
- جامع أنساب قبائل العرب، الإسكندرية، ١٩٧٥م.
٤- عبد الله خورشيد البرى:
- القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
٥- عبد المنعم سلطان:
- الأسواق في العصر الفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.
٦- عبد المنعم ماجد:
- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط. الرابعة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
٧- محمد جمال الدين سرور:
- تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

ثالثا: القواميس

١- محمد رمزى:
- القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

رابعا: المعاجم

١- المعجم الوجيز:
- مطابع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٩٥ / ١٩٩٦م.